

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بجامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية والحضارية



بجاء مقتدر

لنيل درجته الماجستير في التاريخ لهو سلمى

بإشراف الأستاذ الدكتور / حسين محمد ربيع

بجاء الطالبة / فاطمة عمر يوسف الصيرفي



٢٨٢

طبع
بمكة المكرمة

٩٩ / ١٤٠٠ هـ - ٧٩ / ١٩٨٠ م

فہرستِ محکماتِ تاریخ (الرسالة)

(أ)

الفهرس

الصفحة

١

المقدمة : دراسة نقدية لأهم مصادر البحث .

(الفصل الاول)

١٩

الخليج العربي قبل النفوذ البرتغالي

٢٠

عوامل ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي

٣٣

خطوط الملاحة بين الخليج ومصادر تجارة الشرق

٣٧

أهمية طريق الخليج العربي في نقل السلع الشرقية
الى موانئ الشام .

٤٥

الأحوال السياسية للخليج العربي في القرن التاسع الهجري

(الفصل الثاني)

٥٤

كشف طريق رأس الرجاء الصالح ووصول البرتغاليين

الى الهند والخليج العربي

٥٥

العوامل التي أدت الى الكشف الجغرافية وخاصة
العوامل الدينية الصليبية .

٧٠

فضل البحارة العرب في كشف البرتغاليين

٧٧

جهود بارثلميو دياز وفاسكو دى جاما في كشف طريق
رأس الرجاء الصالح .

٩٤

نتائج كشف طريق رأس الرجاء الصالح

(بعده/ب)

(ب)

(الفصل الثالث)

النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر
الهجري وموقف أبناء الخليج والعثمانيين والصفويين

- ١ غزو البرتغاليين مراكز التجارة في الخليج العربي وسيطرتهم عليها .
- ٢ تدبير البرتغاليين للقوى البحرية العربية في الخليج العربي
- ٣ موقف أبناء الخليج العربي والعثمانيين والصفويين من النفوذ البرتغالي في الخليج العربي .

(الفصل الرابع)

نتائج النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في
القرن العاشر الهجري

- ١ محاولات البرتغاليين للسيطرة على تجارة السلع الشرقية وحجب وصولها الى موانئ مصر والشام .
- ٢ تحالف البرتغاليين مع الاحباش ضد القوى الاسلامية
- ٣ بداية التنافس بين القوى الاربعة للسيطرة على تجارة الخليج العربي .

الخاتمة - أهم النتائج التي توصل اليها البحث
قائمة المصادر والمراجع .

(بعده/ج)

(ج)

فهرس الخرائط

- = خريطة خطوط الملاحة بين الخليج العربي ومصادر التجارة الشرقية .
- = خط سير رحلتى دياز ودى جاما
- = خريطة موانئ الساحل الجنوبى لشرق افريقيا والساحل الغربى للهند .
- = خريطة الخليج العربى فى القرن العاشر الهجرى .
- = خريطة الدولات الاسلاميه المحيطة بالحبشة فى القرن العاشر الهجرى .

الفرد

دراسة نقدية لأهم مصادر البحث

النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري /
 السادس عشر الميلادي ، موضوع جديد من موضوعات حركة الجهاد
 الاسلامي ضد الصليبيين . فبعد أن عانى الصليبيون من ضراوة المقاومة
 الاسلامية في مدن وموانئ الشام ومصر فيما بين القرنين السادس والتاسع
 الهجريين ، تحولوا الى مناطق اسلامية جديدة خاصة بعد حركة
 الكشف البرتغالية ، وأصبح الخليج العربي مسرحا لحركة جهادية ضد
 الجديدة ضد البرتغاليين الصليبيين . وهذه الحركة الجهادية ضد
 البرتغاليين حفلت بافتراءات المؤرخين والمستشرقين الأوروبيين . فقد
 تحدث معظم هؤلاء الباحثين الأوروبيين عن النفوذ البرتغالي في الخليج
 بسروح التعصب والحقد الأعمى ضد الاسلام والمسلمين ، مما ضخم كثيرا
 من الوقائع وأظهر البرتغاليين بمظهر بطولي زائف .

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين المسلمين قد تناولوا موضوع تاريخ
 الخليج في عهد الدولة العباسية باعتباره أقرب البحار الى مركز الخلافة
 العباسية في بغداد ^(١) ، وتناول البعض تاريخ الخليج بعد القرن
 العاشر الهجري عندما تنبه الأوروبيون لأهمية موقع الخليج العربي على

(١) انظر على سبيل المثال ، سليمان العسكري ، التجارة والملاحة
 في الخليج العربي في العصر العباسي ، القاهرة ١٩٧٢ م .

طريق التجارة بين الشرق والغرب^(١) ، إلا أن الدراسات الخاصة بتاريخ الخليج في القرن العاشر الهجري بالذات لم تحظ حتى الآن بدراسة علمية موضوعية من وجهة النظر الاسلامية . ومن هنا جاءت أهمية موضوع هذه الرسالة .

وقد استعان البحث بالمعلومات الواردة في المصادر العربية المعاصرة ، لاستنباط وجهة النظر الاسلامية منها حول الفزو البرتغالي للخليج العربي . ومن أهم المصادر التي استفاد منها البحث مؤلفات : ابن ماجد ، وابن ايامس ، وابن الديبع ، وزين الدين ، والنهر والسي ، والعيدروسي ، وابن المطهر ، وسوزا Sousa .

أما ابن ماجد ، فهو شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو بن فضل بن دويك بن يوسف السعدي بن أبي الركايب النجدي ، بحار وعالم من علماء البحر والفلك المسلمون ، عاش في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري وأوائل القرن العاشر ، وكان له الفضل الأول في إرشاد البحار البرتغالي فاسكودي جاما الى طريق الهند^(٢) ، وقد أغفلت معظم

(١) انظر على سبيل المثال ، قدرى قلعجي ، الخليج العربي ، ط بيروت ١٩٦٥ ، صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، ط القاهرة ١٩٧٤ ، سيد نوفل ، الاوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة ، ط القاهرة ١٩٦١ ، أحمد أبو حاكسة ، تاريخ شرق الجزيرة العربية ، بيروت ١٩٦٥ .

(٢) انظر ما يلي ص ٨٨-٨٩

المصادر العربية ذكر هذا الملاح العربي وتاريخ حياته ، غير أنه تحدث عن نفسه في مؤلفاته ومنها نعلم أن أصله يرجع الى نجد في وسط الجزيرة العربية ومولده في جلفار (رأس السخيمة) . وكتب ابن ماجد مؤلفات كثيرة في علوم البحر أهمها كتاب " الفوائد في أصول علم البحر والقواعد " ، " ثلاث أزهار في معرفة البحار " ، " وحاوية الاختصار في أصول علم البحار " و " أرجوزة بنات نعش والذهبية " ، " وضربية الضرائب " و " كتاب المول " و " المعلقة " .^(١) وقد استعان بالبحث بالكتابين الأولين ، ومعظم مؤلفات ابن ماجد لا تزال مخطوطة .^(٢)

ويعتبر كتاب ثلاث أزهار في معرفة البحار " لابن ماجد من أهم المصادر التي أمدت البحث بمعلومات هامة عن الصاعب التي لا قاهها البرتغاليون في ساحل شرق أفريقيا نظرا لعدم معرفتهم بنظام هبوب الرياح الموسمية . ولما كان ابن ماجد بحارا قضى معظم حياته على ظهر السفن ، لذا كان شاهد عيان لممارسة البرتغاليين أعمال القرصنة في المحيط الهندي ، وأشار الى ذلك في كتابه .^(٣)

(١) انظر ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، مقدمة المحقق ، ص ٧ - ٩ ، انظر أيضا دائرة المعارف الاسلامية ، مادة شهاب الدين .

(٢) قام ابراهيم خوري بتحقيق ونشر كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، ط دمشق ، ١٣٩٠ هـ ، كما قام ثيودور شوموفسكى بتحقيق كتاب ثلاث أزهار في معرفة البحار ، وترجمة محمد منير مرسى ، ط القاهرة

١٩٦٩ م

(٣) انظر ابن ماجد ، ثلاث أزهار ، ص ٤٣ ، ٤٥ .

أما كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد لابن ماجد فيحتوى على معلومات اجتماعية واقتصادية وسياسية كانت ذات فائدة كبيرة للبحث، هذا فضلا عن معلومات قيمة عن أهمية منهج التجريب في علوم البحار وأهمية الرياح الموسمية للملاحة .^(١)

وتحدث ابن ماجد في كتابه عن الحالة السياسية للبحرين وعمان وهرمز في النصف الثاني من القرن التاسع الهجرى ما أفاد البحث عند دراسة موضوع الخليج العربي قبل الغزو البرتغالي .^(٢)

وكتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن اياس يعتبر من أهم مصادر البحث . وابن اياس هو محمد بن أحمد بن اياس (٨٥٢ - ٩٣٠ هـ / ١٤٤٨ - ١٥٢٣ م) مؤرخ مصرى من مؤرخي القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى من طبقة " أولاد الناس " أى أولاد أمراء الماليك ، فجدّه اياس الفخرى ، كان ملوكا من ماليك السلطان الملوكي الظاهر برقوق مؤسس دولة الماليك الجراكسة . ولمكانة أسرة ابن اياس في المجتمع الملوكي أصبحت له صلات قوية بالأمراء واصحاب المناصب الكبرى فسي السلطنة الملوكية . وقد عاصر ابن اياس انهيار سلطنة الماليك على أيدي العثمانيين وعبر البرتغاليين رأس الرجاء الصالح ، وبداية الجهاد الاسلامي

(١) انظر ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ٣٠٩ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ٣٠٠ - ٣٠٢ .

ضد البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي .

واستطاع ابن اياس بذكائه ودقة ملاحظته تدوين هذا كله في كتابه المشهور بدائع الزهور في وقائع الدهور . وكتاب بدائع الزهور لابن اياس يلقي أضواء كثيرة على تاريخ مصر والشام والحجاز حتى سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢١م . وتتميز كتابات ابن اياس منذ اعتلاء السلطان المملوكي قايتباي العرش سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م بذكر تفاصيل الحوادث على شكل ، سجل يومي وشهري . ودون ابن اياس في كتابه كثيرا من الحوادث العامة والخاصة ، وتتبع آثار هذه الحوادث على عامة الناس .^(١)

وقد استفاد البحث فائدة كبيرة من الحوادث التي دونها ابن اياس في الفترة التي عاصروا قائلها منذ بداية القرن العاشر الهجري ، فقد أسهب في وصف تدهور الحالة الاقتصادية ، في الدولة المملوكية بعد عبور البرتغاليين رأس الرجاء الصالح وتحركاتهم في المحيط الهندي . كما أمّنا ابن اياس بمعلومات قيمة عن مراحل تجهيز الحملات التي بعث بها السلطان الغوري الى المحيط الهندي للتصدي للبرتغاليين ، ومسير هذه الحملات . وانفرد ابن اياس بذكر معلومات تاريخية هامة عن سقوط إمارة البحرين في ايدي البرتغاليين عام ٩٢٨هـ / ١٥٢١م وهي معلومات لم ترد في أى مصدر تاريخي آخر .^(٢)

(١) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .

(٢) انظر مايلي ص ١٤٤

وتعتبر كتابات ابن الديبع من أهم مصادر البحث . وابن الديبع هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن علي بن يوسف بن أحمد بن عمر الشيباني الزبيدي الشافعي المتوفي سنة ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م . ولد بزبيد في اليمن سنة ٨٦٦هـ / ١٤٦١م ونشأ بها وتلقي علومه فيها وفي مكة المكرمة . عاش ابن الديبع في نفس الفترة التي عاشها مؤرخ مصر ابن اياس غير أنه كان في بلاد اليمن ، وعاصر ابن الديبع آخر ملوك الدولة الطاهرية عامر بن عبد الوهاب (٨٩٤هـ - ٩٢٣هـ) وكان له حظوة عنده .^(١)

ومن أهم مؤلفات ابن الديبع تفسير الوصول الى جامع الاصول ، وفيه المستفيد بأخبار مدينة زبيد ، وقرة العيون بأخبار اليمن الميمون .^(٢)

وترجع أهمية كتابات ابن الديبع لموضوع البحث الى أنه شهد انهيار الدولة الطاهرية علي يد حسن الكردي أثناء مذبحة على اليمن متوجها الى ساحل الهند سنة ٩١٣هـ / ١٥٠٧م لمنازلة البرتغاليين في جزيرة ديو . وتحدث عن ذلك ، كما أن ابن الديبع وصف محاولة البرتغاليين الاستيلاء على مدخل البحر الأحمر سنة ٩١٩هـ / ١٥١٣م عندما هاجموا عدن وكرمان وزيلع علي الشاطئ الشرقي لافريقية ، كما أنه أشار الى استيلاء البرتغاليين علي هرمز . وللأسف لم يمدنا ابن الديبع

(١) الغزى ، الكواكب السائرة ، ج ٢ ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، الشوكاني ، البدر

الطالع ، ج ١ ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٢) حقق كتاب قرة العيون محمد بن علي الأكوخ ، وطبع في القاهرة ١٣٩٧ هـ

بمعلومات هامة عن منطقة الخليج العربي رغم أنه عاش مرحلة ازدياد النفوذ البرتغالي في الشرق .

ويعتبر كتاب " تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين " لزين الدين ^(١) من أهم وأقدم المصادر العربية التي اقتضرت على ذكر أحوال النفوذ البرتغالي في المحيط الهندي مع الإشارة الى الخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية . وقد كان هذا المصدر خير معين في هذا البحث ، حيث تميزت كتابة زين الدين بدقة الملاحظة والتحليل بحيث أمدنا بصورة واضحة عن الاهداف الصليبية والاقتصادية التي دفعنا بالبرتغاليين لاجتياز رأس الرجاء الصالح . كما سرد زين الدين في كتابه إغارات البرتغاليين على سواحل الهند والمحيط الهندي ، كما أمدنا بمعلومات تاريخية وافية عن الحملات التي بعث بها سلاطين الممالك الى الساحل الهندي سنتي ٩١٤هـ ، ٩٢١هـ وأيضا الحملات التي بعث بها العثمانيون سنتي ٩٣٨هـ ، ٩٤٤هـ . ^(٢)

أما كتاب " البرق اليمني في الفتح العثماني " لقطب الدين النهروالي المتوفي سنة ٩٨٨هـ أو ٩٩١هـ / ١٥٨٠م أو ١٥٨٣م فيعتبر من مصادر البحث الهامة ^(٣) . والنهروالي هو قطب الدين محمد بن أحمد

(١) ليس للمؤلف ترجمة في المصادر والمراجع المعروفة ولم يتحدث عن نفسه في كتابه ، ولكن حوادث الكتاب تنتهي عام ٩٩١هـ / ١٥٨٣م .

(٢) انظر زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤٠ - ٤٢ ، ٥٧ - ٥٩ .

(٣) اختلفت المصادر في تحديد وفاة النهروالي ، انظر الفري ، الكواكب

السائرة ، ج ٣ ، ص ٤٤ ، ٤٥ ، حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ ، ص

١٢٦ ، الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

علاء الدين بن محمد بن قاضي خان ، مؤرخ وفقه وشاعر من اعلام القرن
 العاشر الهجري . اتقن اللغتين التركية والفارسية ، مما أكسبه
 ثقافة واسعة في عصره . ورحل في طلب المعرفة الى مصر والشام واستانبول
 وتولى منصب القضاء والتدريس في مكة المكرمة . واكتسب النهروالي
 مكانة رفيعة لدى السلاطين والوزراء العثمانيين المعاصرين ، هذا
 بالإضافة الى مكانته العالية لدى أشراف مكة .^(١)

وللنهروالي مؤلفات كثيرة أهمها : " البرق اليماني في الفتح
 العثماني " والاعلام باعلام بيت الله الحرام " ، " وتذكرة النهروالي " ،
 والتمثيل والمحاضرة بالآبيات المفردة النادرة " ، و " طبقات الحنفية " ،
 والفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية " .^(٢)

ومؤلفه " المسمى " البرق اليماني في الفتح العثماني " من أكثر
 كتبه أهمية بالنسبة للبحث ، حيث تناول النهروالي في هذا الكتاب
 موضوع ضم العثمانيين لبلاد اليمن في القرن العاشر الهجري . واحتوى
 الكتاب على معلومات هامة عن عبور البرتغاليين رأس الرجاء الصالح ، وتحركاتهم
 في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري ، والمحاولات التي قام

(١) الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

(٢) النهروالي ، البرق اليماني ، مقدمة المحقق ، ص ٣٩ ، ٤٧ .

بها البرتغاليون لعقد تحالف مع أمراء عدن ضد الدولة العثمانية . (١)

وذكر النهروالي في " البرق اليمني " تفاصيل حطة سليمان باشا الخادم التي أرسلها السلطان سليمان القانوني للتصدي للنفوذ البرتغالي في المحيط الهندي سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٢م ، وما يؤخذ على النهروالي أنه حابي للعثمانيين كثيرا ، نظرا للمكانة التي حاز عليها عندهم . وقد أهدى هذا الكتاب الى القائد العثماني سنان باشا فاتح اليمن ، كما أهداه الى السلطان العثماني مراد خان ابن السلطان سليم (٩٨٢هـ - ١٠٠٣هـ)^(٢)

ومن المصادر الهامة أيضا لموضوع البحث كتاب المؤرخ عبدالقادر العيدروسي (٩٧٨هـ - ١٠٣٨هـ / ١٥٧٠ - ١٦٢٨م) المسمى " النور السافر عن أخبار القرن العاشر " .^(٣)

والمؤلف هو العلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ ابن عبد الله العيدروسي الحسني اليمني ، ولد بمدينة أحمد آباد في الهند ، وله مؤلفات عديدة منها " الحقائق الخصرة في سيرة النبي عليه السلام وأصحابه العشرة " ، والمنتخب المصطفى في أخبار مولد المصطفى .

(١) انظر البرق اليمني ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ .

(٢) النهروالي ، البرق اليمني ، ص ٦ .

(٣) صححه وضبطه محمد رشيد افندي الصفار وطبع في بغداد ١٣٥٣هـ .

أما كتابه "النور السافر" فقد احتوى على تراجم وأهم حوادث القرن العاشر مثل سقوط سلطنة المماليك في مصر ، ومهاجمة البرتغاليين لعدن عام ٩١٧ هـ / ١٥١١ م . وذكر العيدروسي في كتابه "معلومات هامة عن فتوح الامام أحمد بن ابراهيم القريش في الحبشة" ، ولستيلاء البرتغاليين على مدينة هرمز ، وعلى جزيرة ديوفي الساحل الهندي سنة ٩٦١ هـ / (١) ١٥٥٣ م .

وقد استفاد البحث أيضا من المعلومات القيمة الواردة في النور السافر عند الحديث عن مهاجمة البرتغاليين للشهر في جنوب شبه الجزيرة العربية على عهد السلاطين الكثيرين وعن علاقة الشهر بالدولة العثمانية في القرن العاشر الهجري . (٢)

أما مخطوطة "روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح" لابن المطهر فهي من أهم مصادر البحث . وابن المطهر هو السيد عيسى بن لطف الله بن المطهر بن الامام شرف الدين اليماني الكوكباني المتوفي سنة ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨ م ، وهو مؤرخ وشاعر له مؤلفات عديدة منها روح الروح والنفحة اليمنية في الدولة المحمدية ، أهداهما الى الوزير التركي محمد باشا . وقد عاصر ابن المطهر الامام القاسم

(١) العيدروسي ، النور السافر ، ص ٦٢ ، ١٩٨ ، ٢٥٢ .

(٢) انظر مايلي ص ١٤٠ ، ١٤١

ابن محمد امام ومؤسس الدولة القاسمية في اليمن ، وكان يفد اليه
(١) واحتل مكانة رفيعة لديه .

ومخطوطة " روح الروح " لابن المطهر تقع في (٥١٥) ورقة وتنتهي
بحوادث جرت في اليمن سنة ١٠٢٩ هـ ، واحتوت المخطوطة على معلومات
هامة للبحث ، خاصة بمحاولات البرتغاليين اختراق البحر الأحمر ،
والفتح العثماني لليمن ، وتحالف العثمانيين مع سلمي شرق افريقية .
كما أورد ابن المطهر في كتابه خبر استيلاء البرتغاليين على هرمز مفتاح
الخليج العربي . (٢)

ومن أهم المصادر التي أفادت البحث فائدة كبيرة فيما يتعلق
بتفاصيل الغزو البرتغالي لمراكز التجارة في الخليج العربي ، هو كتاب
المؤرخ البرتغالي فارياسوزا Faria Sousa الذي عاش فيما
(٣)
بين سنتي (٩٩٩ هـ - ١٠٥٩ هـ / ١٥٩٠ - ١٦٤٩ م) ،

وعنوانه : The history of the discovery and cConquest
of India by the portugueses .

(تاريخ اكتشاف وغزو البرتغاليين للهند)

(١) الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ١ ، ص ٥١٦ .

(٢) انظر ابن المطهر ، روح الروح ، ورقة ٧ ، ٩ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٩ .

(٣) Every man,s Encyclopedid, Article Faria .

وقد ترجم الكتاب الى اللغة الانكليزية جون ستيفن John Stevens ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء ، يحتوى على تاريخ مفصل للنفوذ البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي وجنوب شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر .

ودون المؤرخ فاريا سوزا في كتابه مراحل الغزو البرتغالي للخليج العربي ومهاجمة البرتغاليين لجنوب شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر وساحل افريقية الشرقي . كما حفل الكتاب بمعلومات مفيدة عن أسلوب الحياة التي عاشها البرتغاليون في بحار الشرق ، مما أفاد البحث عند دراسة موضوع ممارسة البرتغاليين لعمليات القرصنة في المحيط الهندي والخليج العربي .^(١)

ويؤخذ على فاريا سوزا تعصبه الشديد للبرتغاليين وروحه الحاقدة ضد الاسلام والمسلمين ؛ لذلك كان يجب أخذ رواياته بحذر شديد ، خاصة فيما يتعلق بالاسلام والمسلمين مثل وصفه للقادة الاتراك بالقراصنة، والمبالغة في عدد القتلى من المسلمين في المعارك التي جرت ضد البرتغاليين ، وتصوير عمليات الارهاب والوحشية أثناء غزو البرتغاليين للخليج العربي على أنها من أعمال البطولة البرتغالية .^(٢) لذلك كان

(١) انظر مايلي ص ٩٥ - ١٢٧٦ - ١٣٦

(٢) Sousa. The history of the discovery, Vol.(1).P. 126, 127,134; Vol.(2) .P.163 .

لا بد من مقابلة المعلومات الواردة في كتابه " تاريخ اكتشاف وغزو البرتغال ^{لبن} للهند " بما ذكره المؤرخون المسلمون المعاصرون أمثال زين الدين ، والنهروالي ، والعيدروسي ، وابن المطهر ، وتفنيد هذه المعلومات وفي حالة عدم ذكر الحادثة في المصادر العربية أخضعناها للنقد والتحليل بما يتفق مع العقل والمنطق .

ويحتوى هذا البحث على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، احتوت المقدمة على دراسة نقدية لأهم المصادر التي اعتمد عليها البحث .

أما الفصل الأول وعنوانه " الخليج العربي قبل النفوذ البرتغالي " فقد تناول دراسة العوامل التي أدت الى ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي قبل الغزو البرتغالي مثل العوامل الجغرافية ، وتعتمد الموانئ التجارية الصالحة لرسو السفن ، وحالة الأمن في الخليج العربي . وشرح الفصل تأثير هذه العوامل جميعها على شعراء أهالي الخليج العربي وازدهار تجارتهم ، واحتوى الفصل على معلومات خاصة بخطوط الملاحة التي ربطت بين الخليج العربي ومصادر تجارة الشرق ، وهي الهند والصين وشرق افريقية والبحر الأحمر . كما تحدث الفصل الاول أيضا عن أهمية طريق الخليج العربي في نقل السلع الشرقية الى موانئ الشام ، ومراحل ازدهار هذا الطريق وفترات الركود التي اصابته أحيانا نتيجة اختلال الأمن في فترات مختلفة ، وتناول الفصل الأول حالة الخليج

العربي السياسية في القرن التاسع الهجري ، موضحا الاحوال السياسية للعراق وفارس والامارات العربية في الشاطئ الغربي للخليج العربي حتى يسهل المقارنة بين احوال الخليج العربي السياسية قبل النفوذ البرتغالي ومعه .

أما الفصل الثاني وعنوانه " كشف طريق رأس الرجاء الصالح ووصول البرتغاليين الى الهند والخليج العربي " فقد درس العوامل التي أدت الى حركة الكشف الجغرافية وخاصة العوامل الدينية الصليبية التي احتلت المقام الأول بين العوامل الاقتصادية والجغرافية وغيرها . وناقش الفصل الثاني موضوع فضل البحارة العرب في كشف البرتغاليين ، ودور اليهود في نقل المعلومات البحرية العربية الى البرتغاليين قبل كشفهم لرأس الرجاء الصالح . كما تناول الفصل دور الملاح العربي ابن ماجد في كشف البرتغاليين ودوره في ارشاد أهم رحلة قام بها البرتغاليون الى الشرق بقيادة فاسكو دي جاما . كما درس هذا الفصل جهود الملاحين البرتغاليين بارثيميو دياز وفاسكو دي جاما في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح . وناقش الفصل النتائج التي ترتبت على هذا الاكتشاف ، ومن أهمها تحقيق الأهداف الصليبية ، وتحويل طريق التجارة من البحر الاحمر والخليج العربي الى الطريق المار حول افريقية ، وانتهاء تجارة سلاطين الممالك والبنادقة .

وعالج الفصل الثالث وعنوانه " النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري وموقف العثمانيين والصفويين " عدة نقاط هي غزو البرتغاليين لمراكز التجارة في الخليج العربي وهذه المراكز هي قلهاة وقرباط ومسقط وصحار وخورفكان وهرمز والبحرين والقطيف والبصرة . كما تتبع الفصل مراحل توغل البرتغاليين في الخليج العربي ، وما صاحبه من انتهاك لحقوق الانسان وممارستهم لعمال الارهاب والوحشية والظلم من أجل فرض السيطرة البرتغالية ومحاربة الاسلام والمسلمين .

كما شرح الفصل الثالث حوادث تدمير هؤلاء الغزاة البرتغاليين الصليبيين للقوى البحرية العربية في الخليج العربي سواء بتدمير الموانئ وتحطيم السفن الراسية فيها أو بممارسة أعمال القرصنة والنهب للسفن التجارية العربية المارة في الخليج ، وفرض رقابة شديدة على السفن التجارية وارغامها على حمل التصاريح البرتغالية أثناء المرور في مياه الخليج العربي .

وأخيرا ، ناقش الفصل الثالث موقف أبناء الخليج العربي من هذا الغزو ، ومحاولاتهم خلع نير السيطرة البرتغالية ، والحملات التي بعثت بها الدولة العثمانية الى الخليج العربي للتصدي لذلك النفوذ البرتغالي . كما ناقش الفصل الثالث أيضا موقف الصفويين ومحاولتهم

عقد حلف مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية .

وتناول الفصل الرابع وعنوانه " نتائج النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري " موضوع محاولات البرتغاليين السيطرة على تجارة السلع الشرقية وحجب وصولها الى موانئ مصر والشام

والقى هذا الفصل الضوء على حملات البرتغاليين في جنوب شبه الجزيرة العربية ومدخل البحر الأحمر وتوغلهم حتى جدة باعتبار أن هاتين المنطقتين تمثلان مركزين لاعداد وتجهيز الحملات العثمانية المتوجهة الى الخليج العربي . كما شرح الفصل الرابع أيضا ردود الفعل العثمانية على الحملات البرتغالية ، ثم تأثير هذا النفوذ على حركة التجارة المارة عبر الخليج العربي . كما تناول الفصل موضوع تحالف البرتغاليين مع الاحباش لضرب القوى الاسلامية في شرق افريقيه وتكوين جبهة صليبية ضد الدولة العثمانية في البحر الأحمر لحماية لمصالحهم في الخليج . وتناول هذا الفصل دراسة الموقف العثماني من هذا التحالف ، وتعرض باختصار لموضوع التنافس بين القوى الأوروبية للسيطرة على تجارة الخليج العربي في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري ، بمعد أن تنبعت القوى الأوروبية الأخرى لأهمية تجارة الشرق وأهمية معبر هذه التجارة وهو الخليج العربي . كما ناقش الفصل الرابع أسباب تدهور القوة البرتغالية في الخليج العربي مع بداية القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي .

وأما خاتمة البحث فقد ناقشت أهم النتائج التي تم التوصل اليها واشتمل البحث على مجموعة من الخرائط التي توضح كثيرا من مواقع الموانئ والمدن والأماكن التي ورد ذكرها في فصول الرسالة ، فضلا عن خطوط الملاحة ، ورحلة فاسكودي جاما الى الهند .

واني أتوجه بشكري وتقديري الى استاذي المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور حسنين محمد ربيع الذي لم يدخر جهدا في سبيل توجيهي وارشادي في هذا البحث . كما أشكر أخوتي الكرام الذين لم ييخلوا بمساعدتي جهد طاقتهم في جمع مصادر هذا البحث ، جزاهم الله عني خير الجزاء .

وختاما الله أسأل أن أكون قد وفقت ، وأرجو أن يكون هذا البحث قد ألقى ضوئاً على فترة هامة وغامضة في تاريخ الخليج العربي ، والله من وراء القصد انه نعم المولى ونعم النصير .

الفصل الأول

الخليج العربي قبل القفوذ البرتغالي

- ١- عوامل ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي
- ٢- خطوط الملاحة بين الخليج ومصادر تجارة الشرق.
- ٣- أهمية طريق الخليج في نقل السلع الشرقية إلى موافئ الشام.
- ٤- الأحوال السياسية للخليج العربي في القرن التاسع الهجري.

(١) عوامل ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي

٥٥

يأتي في مقدمة عوامل ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي قبل النفوذ البرتغالي ، العامل الجغرافي . فللخليج العربي يمتد على شكل ذراع بحري في جنوب غرب آسيا ، وهو أحد أذرع المحيط الهندي حيث يمثل البحر الأحمر الذراع الآخر والموازي له ، ويذكر هــ هذه الحقيقة ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان فيقول : * بحر فارس هو شمعة من بحر الهند الأعظم * (١) وتقدر مساحة الخليج بسبع وتسعين ألف ميل مربع أى ما يعادل ٢٥٠ ألف كيلومتر . ويبلغ طوله من البصرة الى ساحل عمان نحو ٨٠٠ كيلومتر ، ويبلغ عرضه ٢٢٨ كيلومتر في أقصى اتساعه شرق جزيرة قطر ، وبين ستة وأربعين كيلومترا عند مضيق هرمز (٢) . ويشتمل الخليج العربي على عدد كبير من الجزر الصغيرة مما

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٤٣ ، سليمان العسكري ، التجارة والملاحة في الخليج في العصر العباسي ، ص ٧ - ٨ .

(٢) سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ١٨٢ - ١٨٨ ، قدرى قلعجي ، الخليج العربي ، ج ١ ، ص ٢٦ .

شجّع على الملاحة فيه حيث تجد السفن دائما ملجأ لها وقت المواقف البحرية الخطرة .

ويمثل الخليج العربي بموقعه الفريد نقطة وصل بين القارات الثلاث ، آسيا ، وإفريقية ، وأوروبا . وكذلك يمثل جسرا طبيعيا لتجارة الشرق الآتية من الهند والشرق الأقصى ، والذاهبة الى أوروبا ، باتصاله بأرض الهلال الخصيب (العراق والشام) ، كذلك التجارة القادمة من أوروبا عبر الشام والعراق فالخليج العربي .^(١)

ولم يكن الخليج معبرا تجاريا فحسب وإنما هو أيضا من مراكز التجارة الهامة ، فتتفرع منه طرق برية أسهمت في نقل المتاجر الواردة برا الى المدن الداخلية مما عزز نشاط الطريق البحري في الخليج ، وكذلك في تصدير سلع بلدان الخليج الى أنحاء العالم المعروف آنذاك . فعلى الشاطئ الشرقي للخليج في إقليم فارس تقع الموانئ التجارية الهامة مثل سيواف وهرمز ومنها تنقل كثير من المتاجر بواسطة القوافل الى داخل البلاد . ومن الموانئ الهامة الواقعة على الشاطئ الغربي للخليج العربي ، تقوم القوافل بتوزيع المتاجر الى داخل شبه

(١) سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ٥-٧ ، قدرى قطعجي ، نفس

المرجع ، ص ٢٥-٢٦ .

الجزيرة العربية . أما النافذة الثالثة للخليج فهي التي تطل على بلاد الرافدين وهي أهم النوافذ وأكثرها شهرة .^(١)

وعرف الملاحون نظام هبوب الرياح الموسمية في الخليج العربي والمحيط الهندي والبحر الأحمر فساعدتهم ذلك على اتقان ركوبه ، وبالتالي نظموا رحلاتهم الى الشرق الاقصى والهند وشرق افريقية . وتختلف مواقيت الرياح الموسمية في المحيط الهندي عنها في الخليج العربي ، فالسفن الذاهبة الى شرق افريقية من الخليج العربي تدفعها الرياح الشمالية الشرقية (شتاء) في النصف الثاني من نوفمبر والنصف الأول من ديسمبر ، وتعود الى الخليج تدفعها الرياح الجنوبية الغربية (صيفا) كما أن السفن القاصدة الى الصين كانت تدخل الخليج العربي في شهرى سبتمبر وأكتوبر ، وتعبر المحيط من مسقط الى ساحل الملايو بالهند تدفعها الرياح الموسمية الشمالية الشرقية ما بين شهرى نوفمبر وديسمبر .^(٢)

ولأهمية هذه الرياح للملاحة فقد ذكرها علماء الفلك والبحر المسلمون في مؤلفاتهم ، ووضعوا قوانين لارشاد السفن أثناء هبوب هذه الرياح ، وحذروا من الجهل بها ، فيقول ابن ماجد : " فيجب أن نذكر

(١) سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ١٤٠ .

(٢) سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ١٩٦ ، ٢٠١ ، نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ، ص ١٦٥ .

مواسم السفر التي لا يستوى السفر الا بها ، لأن فوات الموسم وتقد^{يمه}
وتأخير^ه ، داع الى مالا خير فيه ^(١) . ويذكر سليمان المهرى في كتابه
المنهاج ^(٢) الفاخر هذا المعنى فيقول : " أعلم أن الريح الاصلية
أربعة : شمال وجنوب وقبول ودبور ولهذا الريح في البحر
المعمور السلوك حدود في أوائلها وأواخرها وأواسطها تسمى مواسم
وهي معلومة عند سفار البحر " . ويقول في تحذيراته لربان السفينة :
" الحذر أولا من ثلاثة أمور : الأولى : تأخير الموسم وتفويته خصوصا
من الهند " . ويذكر في كتابه " العمدة المهرية ^(٣) " عدة أمور يجب
اتباعها اثناء هبوب الرياح أهمها على حد قوله : " تفقد في جميع
أسفارك آلات المركب جميعها كالسكان ، خصوصا مع الريح في كل يوم
وتصغير القطع على المركب خصوصا في الليل وفي وقت الغيوم والأمطار
والأرياح " .

وكان لتعداد الموانئ التجارية الصالحة لرسو السفن في
الخليج العربي الفضل الكبير في زيادة أهمية الخليج ومن أهم عوامل
ازدهار حركة التجارة فيه .

(١) ابن ماجد ، كتاب القوائد ، ص ٣٠٩ .

(٢) سليمان المهرى ، المنهاج الفاخر ، ص ١٠١ .

(٣) سليمان المهرى ، العمدة المهرية ، ص ١٩٣ .

ومن أهم الموانئ التي كونت شهرة الخليج العربي على مر العصور
سيرا ف وهرمز والبصرة والبحرين والقطيف وعمان وصهار ومسقط
و قلهات .

فأما سيرا ف فهي من أقدم المراكز التجارية وأكثرها ازدهارا في
الخليج العربي . وتقع سيرا ف على الشاطئ الشرقي للخليج جنوب
شيراز ، وهي ميناء بلاد فارس على الخليج العربي ، وبلغت سيرا ف
مبلغا عظيما من الازدهار حتى أصبحت تنافس البصرة في الفنى
والثراء ، وقد سماها المقدسي دهليز الصين وخزانة فارس وخراسان ،
وعن طريقها تمر صادرات فارس و وارداتها .^(١)

وتقصد سيرا ف السفن القادمة من شرق افريقية والهند والصين
كما تقلع منها السفن الذاهبة الى عدن وعمان والهند والصين . ورغم
جذب أرضها وشدة حرها فقد كانت مدينة عامرة مشهورة بكثرة بنيانها
و ثراء أهلها الذي يصل الى حد الترف . فيذكر الاصطخري أن ثروة
الرجل من أهل سيرا ف تصل الى ألف ألف (مليون) درهم يكتسبها
من تجارة البحر .^(٢)

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٦٤ ، انظر أيضا الاصطخري ،
المسالك والممالك ، ص ٣١ ، جورج حوراني ، العرب والملاحة ، ص ٢٠٧
٢٠٨ ، آدم مستز ، الحضارة الإسلامية ، ص ٤٣٧ .
(٢) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٩٢ - ٩٣ ، انظر أيضا الحميري ،
الروض المعطار ، ص ٣٣٣ .

وقد استولى على سيراف أمير جزيرة قمس التي تقع في مولجيسنة
سيراف ، وزارها الرحالة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجرى / الرابع
عشر الميلادى وذكر أن قيسا هي سيراف ^(١) . وقد حوّل هذا الأمير
التجارة عنها الى بلاد ، فأخذت سيراف في الانهيار وأواخر القرن
التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى . ^(٢)

أما هرمز فهي ميناء رئيسي لبلاد فارس تقوم على مضيق الخليج
الذى أطلق عليه اسم مضيق هرمز . وترجع أهميتها الى أنها مركز
تجارى للسلع الشرقية ، كما أنها نقطة التقاء القوافل المحملة بالمتاجر
من السند ووسط فارس ، وتصدر عن طريقها أيضا سلع مقاطعتي كرمان
وفارس ^(٣) . ويتميز طقس هرمز بالحرارة الشديدة خاصة بالقرب من
البحر ، لذلك كان تجارها يقيمون مساكنهم على بعد فرسخين من
الشاطئ في القرى . ورغم ذلك فهي مدينة زراعية كثيرة النخل والمياه
وما جعلها ميناء لتموين السفن أيضا . ^(٤)

(١) ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص ٢٢٨ ، ٢٨٠ .

(٢) نعيم زكي فهمي ، نفس المرجع ، ص ١٢١ .

(٣) الاضطخري ، المسالك والممالك ، ص ٩٩ ، ياقوت الحموي ، معجم
البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٠٢ ، سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص

١٠٩ ، ١١١ .

(٤) الاضطخري ، المسالك والممالك ، ص ٣١ ، ٩٩ ، الحميري ، العروض
المعطار ، ص ٥٩٥ ، سليمان العسكري ، نفس المرجع ،

ص ١٠٩ ، ١١١ .

وفي القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى خرب المغول مدينة هرمز الساحلية فانتقل أهلها الى جزيرة " جرون " المقابلة للساحل . وبعد ذلك أطلق عليها اسم هرمز أيضا فزادت أهميتها وذاعت شهرتها حتى القرن العاشر الهجرى .^(١)

ومن الموانئ التجارية الهامة في الخليج العربي البصرة ، وتقع على الطرف الشمالي من الخليج العربي عند التقاء نهر دجلة بنهر الفرات . وأغلب أنهار البصرة المتفرعة من دجلة والفرات صالحة للملاحة . وتتصل البصرة ببغداد عن طريق القنوات ، كما أنها تمثل نقطة التقاء الطرق الممتدة من وسط بلاد فارس الى الخليج والممتدة أيضا من بادية شبه الجزيرة العربية الى الخليج العربي . ولذلك أصبحت البصرة مركزا تجاريا هاما لتوزيع السلع الآتية من بلاد فارس والعراق والشام والجزيرة العربية عبر الخليج العربي ، ولاستقبال السلع الآتية من الشرق الأقصى وخاصة التوابل في طريقها الى العراق فالشام فسواحل البحر المتوسط .

وتشتمل البصرة على أسواق مزدهرة أهمها السوق الكبير الذى

(١) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٣٣٩ ، دائرة المعارف الاسلامية مادة بندر عباس .

بلغ إيراده في منتصف القرن التاسع الهجرى حوالى ٤٤١.٠٠٠ دينار سنويا ، كما أن بها مخازن ومستودعات للمتاجر .^(١)

ومن المراكز التجارية الهامة على الخليج العربي البحرين ، وهي مجموعة جزر تقع بالقرب من الشاطئ الغربي للخليج العربي . وتعود شهرة البحرين الى مصايد اللؤلؤ التي تحيط بها ، ويشتغل فيها معظم سكان البحرين ، وتؤلف أحد المصادر الأساسية للثروة عندهم . وتعتبر المنامة المركز الرئيسي لتجارة اللؤلؤ بالإضافة الى كونها مركزا تجاريا هاما لتجارة السلع الشرقية ، كما يصدر عن طريقها اللؤلؤ الى جميع أنحاء العالم آنذاك .^(٢)

أما القطيف فتقع في منطقة الأحساء على الشاطئ الغربي للخليج العربي ، وتشتهر بالزراعة والمياه الجوفية الوفيرة . وأهم مزارعها القطيف النخيل ، وتصدر منتجاتها منه بالإضافة الى منتجات الأحساء من التمور . ويشتغل بعض سكان القطيف بالفوس لاستخراج اللؤلؤ . وكانت القطيف محطة للقوافل التجارية الآتية من جنوب بلاد العرب

(١) نعيم زكي فهمي ، نفس المرجع ، ص ١١٢ ، سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ٩٤ ، ٩٧ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مادة البصرة .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ص ١٤٨ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٠١ - ١٠٢ ، سيد نوفل ، الأوضاع السياسية ، ج ١ ، ص ٤٧ ، صلاح العقاد ، التيارات السياسية ، ص ٢٦٣ .

والذهابة الى العراق ، لذلك كانت تزود السفن العابرة في الخليج
بتجارة شبه الجزيرة العربية ، كما أنها كانت محطة لتوزيع منتجات الشرق
الأقصى داخل شبه الجزيرة العربية . (١)

ويعتبر ساحل عمان من أهم مراكز التجارة في الخليج العربي حيث
يحتوى هذا الساحل على أكثر من ميناء تجارى لاستقبال التجارة الشرقية
مثل صحار ومسقط وقلبات . وقد لعب العمانيون دورا هاما في هذه
التجارة منذ القدم ، فان طبيعة بلاد عمان التي تفصلها عن بقية شبه
الجزيرة العربية الصحراء الشاسعة ، جعلت أهلها يتجهون ناحية
البحر ويصبحون بالتالي أمة بحرية تجارية من الدرجة الأولى . يضاف الي
ذلك أن أرض عمان أرض زراعية وفيرة المياه ما زاد في أهميتها
كمركز لتموين السفن . (٢)

والميناء الرئيسي على ساحل عمان هو صحار التي تشتهر بجوها
المعتدل وأرضها الخصبة ومزروعاتها الوفيرة ، وتعتبر مخزنا للسلم

-
- (١) ابو الغداء ، تقويم البلدان ، ص ٩٩ ، ابن بطوطة ، تحفة النظار ،
ص ٢٨٠ ، سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ١٠٣ - ١٠٥ .
(٢) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٢٧ ، الحميرى ، السروض
المعطار ، ص ٤١٣ ،

الواردة من الهند والصين ، وفيها تلتقي السفن التجارية المحملة بسلع الخليج العربي ، ومنها يتم تموين السفن ثم الانطلاق مرة أخرى إلى الهند والصين وشرق أفريقيا .

بلغت صحار أوج ازدهارها في القرن الرابع الهجري . واستمر هذا الازدهار حتى القرن السابع الهجري ^(١) ، عندما تدهورت صحار وأصبحت خربة في منتصف القرن السابع الهجري ، وتحولت تجارتها إلى هرمز وقلبات في القرن الثامن الهجري . وذكر أبو الفداء صاحب تقويم البلدان في المتوفي سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م أن صحار قد أصبحت بلدة خراباً ^(٢) . كما أن ابن ماجد الذي عاش في القرن التاسع الهجري لم يصفها وصفا يدل على أهميتها التجارية مطلقاً وصف مسقط ، مما يشير إلى استمرار خرابها حتى ذلك القرن ^(٣) .

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٢ ، الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٢٧ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، سليمان العسكري ، نفس المرجع ، صفحة ١١٢ ، ١١١ .

(٢) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٩٩ ، دائرة المعارف الإسلامية مادة صحار .

(٣) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ٢٨٢ .

أما مسقط فقد كانت لها أهمية تجارية كبيرة على ساحل عمان وظلت مزدهرة ازدهارا عظيما حتى القرن العاشر الهجرى . ويرجع ذلك الى أن مسقط محطة تجارية هامة ومركز عظيم من مراكز التموين للسفن ، حيث تتوفر فيها الآبار العذبة والمزروعات وخاصة النخيل^(١) . وذكر ابن ماجد أن مسقط بندر مشهور في الدنيا لم يكن له مثيل ، وله جبل يراه أصحاب السفن الداخلة الى الخليج مما يسهل رسو السفن فيه ليلا ونهارا ، كما أنه يصدر التمر والخيول ويستقبل السلع المختلفة من الهند وشرق افريقية .^(٢)

أما قلعات فهي ميناء تجارى هام على ساحل عمان زادت شهرتها في القرن الثامن الهجرى ، بعد تدهور وخراب صحار خاصة أن معظم أهلها كان يشتغل بالتجارة .^(٣)

ومن أهم عوامل ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي قبل النفوذ البرتغالي هو استقرار الأمن به وما قامت به الدول الاسلامية

(١) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٥٥٩ .

(٢) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٣) ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

المتعاقبة من منع أخطار القرصنة في مياهه . وقد مرّ الخليج العربي بفترة من أزهى عصوره وأكثرها رخاءً وأماناً وهي فترة وحدة العالم الاسلامي زمن الخلافة الأموية والخلافة العباسية . ورعت الدولة الاسلامية أمن واستقرار الخليج العربي ، وشجعت التجارة فيه ، نظراً لقربه من حاضرة الأمويين في دمشق ، ثم حاضرة العباسيين في بغداد ، مما شجع الحركة التجارية في الخليج وزاد من رخص السلع المجلوبة من الصين والهند ، وأدى بالتالي الى رخاء الدولة الاسلامية التي ملكت كل الطرق التجارية الرئيسية في العراق والشام وفارس .^(١)

ومن مظاهر رعاية الدولة الاسلامية لأمن واستقرار الخليج العربي محاربتها للصوص البحر ، فكانت تقيم الحصون في أهم المناطق التي يتواجد فيها هؤلاء اللصوص ، فيذكر الاصطخرى أن في عبادان حصن عامر فيه حامية ترابط لمراقبة اللصوص والتصدى لهم على مر الأيام^(٢) . كما وضعت الدولة الاسلامية علامات لارشاد السفن في المناطق الخطرة على الملاحة وخاصة قرب البصرة لضحالة المياه وكثرة الصخور الناشئة .

Milles. op. cit. P. 3659 .

(١)

جورج حوراني ، نفس المرجع ، ص ١٩٥ .

(٢) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٣١ .

وذكر المسعودي والاصطخري أن هذه العلامات كانت تسمى خشبات البصرة ، وهي عبارة عن منارات من الخشب يسكنها ناظور يوقد في الليل المصابيح لارشاد السفن الداخلة الى البصرة ، وتمتد هذه المنارات على سواحل فارس والبحرين وعمان .^(١)

وفي بداية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي هاجم تيمور لنك فارس والعراق فاضطرب حبل الأمن من جديد ، وتضررت طرق التجارة المارة من الخليج العربي الى العراق والشام ، مما سبب اعاقبة الحركة التجارية في هذه الطرق وان لم تنقطع نهائيا .^(٢)

واستمر هذا الحال على عهد الجلائريين ودولة القره قوينلو ، ودولة الآق قوينلو ، الذين تعاقبوا على حكم فارس والعراق حيث كانت الحروب تستمر إبان قيام احدى هذه الدول أو أثناء امتداد نفوذها .

ولابد من الإشارة هنا الى أن اضطراب الأمن في الخليج العربي بعد الغزو المغولي للدولة الاسلامية في القرن السابع الهجري لم يؤد الى تدمير أو تحطيم تجارته كما حدث عندما غزا البرتغاليون

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج١ ، ص ١٤٩ ، الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٣٠ ، والناظور من نظر والناظر هو الحافظ ، انظر

ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٧٥ .

(٢) انظر مايلي ص ٢٩ - ٤١

وأحاله خرابا في بداية القرن العاشر الهجرى كما ستوضحه هـذه
الدراسة .

٥٥
٥

(٢) خطوط الملاحة
بين الخليج العربي ومصادر تجارة الشرق
٥٥

مخبرت السفن العربية - خاصة سفن الخليج العربي - عـبـاب
المحيط الهندي منذ أقدم العصور . وتعددت خطوط الملاحة بينه
وبين مصادر التجارة الشرقية ، وأشهرها خطان رئيسيان للملاحة
البحرية أحدهما يتجه الى الهند ، والصين ، وثانيهما يتجه الى البحر
الأحمر وشرق افريقية . فأما الطريق البحرى المؤدى الى الهند
والصين فهو أطول طريق استعمله العرب على نحو منتظم منذ آلاف
السنين . وسلوك هذا الطريق في ذلك الوقت وبالمكانيات والآلات
المعروفة آنذاك ، يعتبر من الاعمال العظيمة الجديرة بالدراسة .^(١)

(١) انظر جورج حوراني ، نفس المرجع ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

بيتة
ويتفرع هذا الطريق الى فرعين أحدهما تسلك فيه السفن العربي
الخليج العربي من البصرة وسيراف وترعلى البحرين وهرمز ثم
ترسو عند الساحل العماني في صحار ومسقط وقلهات ، فتزود بالمؤن
ثم تمخر المحيط الهندي الى كولم ملي (كويلون حاليا Quilon)
في جنوب ساحل الطييار في الهند ، ثم تتجه السفن العربية الى
الصين وغالبا ما يسلك هذا الطريق السفن الكبرى المحطة بالمناجر .

أما الفرع الآخر للطريق البحري المؤدى الى الهند والصين
فهو أن تنطلق السفن بعد توقفها في هرمز الى السند مارة بمحاذاة
الساحل الفارسي الى الديبل والمنصورة من موانئ الملتان بالسند .
وسلكت هذا الطريق السفن المتوسطة الحجم والتي كانت ترغب فى
نقل السلع الهندية من موانئ السند . ثم تحمل السفن هذه المتاجر ،
الى الصين مارة بازاء الساحل الغربي للهند ، حتى تصل الى
كولم ملي نقطة الانطلاق الى الصين .^(١) وكانت الرحلة الملاحية بين
الخليج العربي والهند والصين تستغرق ما يقارب ستة أشهر .^(٢)

(١) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٢٩ ، جورج حوراني ، نفس
المرجع ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ، سليمان العسكري ، نفس المرجع ،
ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) قدرى قلجى ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٥٤ ، ريسلر ، الحضارة
العربية ، ص ١٣٢ .

واستطاع البحارة والتجار العرب بسلوكهم الاسلامي في المعاملات التجارية أن يكسبوا ثقة الحكام في سواحل الهند وسيلان والصين ، وأسسوا جاليات عربية على سواحل تلك البلاد . ونتيجة احتكاكهم بأهالي البلاد انتشر الدين الاسلامي في تلك النواحي بسرعة كبيرة ، مما يؤكد أن التجار العرب كان لهم دور كبير في نشر الاسلام في الشرق الأقصى ، وأن الدين الاسلامي قوي بذاته ومتعاليمه السمحة وشموله للحياة الانسانية ، ولا يحتاج من ينشره الى قوة الدولة أو السلاح .

أما الخط الملاحي الثاني بين الخليج العربي وشرق افريقية والبحر الأحمر فله فرعان ، الفرع الأول : تخرج فيه السفن من الخليج العربي الى ساحل عمان ، وتسير بمحاذاة الشاطئ الجنوبي لبلاد العرب مارة بالشحر ثم الى عدن . ومن عدن تتجه السفن اما الى داخل البحر الأحمر أو تعبر الى شرق افريقية ، وهناك تتابع رحلتها حتى سفاله (موزمبيق حاليا) وجزيرة قنبلو (مدغشقر حاليا) . وقد ذكر المسعودي أن مراكب العمانيين والسيرافيين تقصد سفاله وهي نهاية مطاف سفنهم .^(١)

وتستغرق الرحلة من الخليج الى عدن نحو أربعة أشهر . ويقصد

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٦٠ .

ويقصد التجار سقاه للحصول على الذهب والرقيق والعاج والعنبر والأخشاب .^(١)

أما الفرع الآخر لهذا الطريق البحري فتطلق السفن من رأس الحد على ساحل عمان الى جزيرة سوقطرة ثم الى رأس جوردا في على الساحل الشرقي لأفريقية . وهذا الفرع من خط الملاحة الرئيسي مخوف بالمخاطر نظرا لتحصن كثير من لصوص البحري جزيرة سوقطرة واعتراضهم لهذا الطريق ، فكانت معظم السفن تفضل السير من الطريق المار بعدن^(٢) ، ومن عدن كانت سفن الخليج تدخل الى البحر الأحمر وتتوغل فيه حتى جدة ، ولكنها لم تتابع سيرها الى أبعد منها نظرا لكثرة الشعاب المراجانية على شواطئ البحر الأحمر .^(٣)

وهكذا نجد أن البحارة والتجار العرب من الخليج العربي قد جابوا جميع أنحاء المحيط الهندي وبحر العرب والشاطئ الشرقي

(١) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٢٧ .

(٢) جورج حوراني ، نفس المرجع ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ؛ سليمان العسكري نفس المرجع ، ص ٢٠١ ؛ ريسلر ، نفس المرجع ، ص ١٣٣ .

(٣) سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

لأفريقية والبحر الأحمر ما جعلهم مهرة في ركوب البحر ، ويكفي دليلا على ذلك أن ابن ماجد العالم والبحار والفلكي الماهر هو من أبناء الخليج العربي .

٥٥

١٦ أهمية طريق الخليج العربي في نقل السلع

الشرقية الى موالي الشام

٥٥

وما زاد في أهمية طريق الخليج العربي كمنفذ للتجارة العالمية هو اتصاله بنهرى دجلة والفرات ، ويعتبر هذان النهران امتدادا طبيعيا للخليج ما جعل هذا الطريق مباشرا وقيل التكلفة لأنه لا يقطع صحراء قاحلة تكلف مالا وجهدا في الحراسة ^(١) واكتسبت أرض العراق أهميتها أيضا باتصال انهارها بالخليج العربي ، وبالتالي غناها من تجارة الشرق الواردة اليها عن طريقه ، ويقول المقدسي في هذا الأمر " واعلم أن العراق ليس ببلد رخاء ، ولكن جل وعمر بهذين النهرين

(١) نعيم زكي فهمي ، نفس المرجع ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

وما يتحمل فيهما وبحر الصين (المحيط الهندي) المجاور له .^(١)

وياتصال الخليج العربي بأرض العراق أصبح يتحكم في نقل السلع الشرقية الى موانئ البحر المتوسط^(٢) ، فكانت البضائع تنقل من البصرة على المراكب النهرية في نهر الفرات ، ثم الى نهر عيسى المتفرع منه والذي يتصل ببغداد . ومن بغداد تنقل السلع التجارية عبر أرض الجزيرة بواسطة القوافل حتى حلب ودمشق وصور وصيدا على سواحل البحر المتوسط ، وكانت الرحلة تستغرق من بغداد الى حلب خمسين يوما .^(٣)

وهناك طريق آخر يربط الى جانب دجلة والفرات تنقل فيه البضائع بواسطة القوافل غرب نهر الفرات ثم الى أرض الشام ثم الى حلب . ويخدم هذا الطريق الكثير من آبار المياه والمحطات التجارية القريبة منها . وتستغرق الرحلة بالقافلة بين البصرة وحلب سبعين يوما .^(٤)

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢٤ .

(٢) سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ١٩ .

(٣) جورج حوراني ، نفس المرجع ، ص ١٩٥ - ١٩٦ ، لونكريك ، أربعة قرون في تاريخ العراق ، ص ٤٣ .

(٤) ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٧٧ - ٧٨ ، سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ١٨ - ١٩ ، لونكريك ، نفس المرجع ، ص ٤٣ .

وبعد سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦ هـ ، وانهيار سلطنة الدولة على طريق التجارة أصبح البدو يحصلون على ضرائب نظير عبور القوافل التجارية لأراضيهم . واستمر هذا الحال حتى القرن العاشر الهجرى . وكانت متاجر الشرق الأقصى تأخذ طريقها الى أوروبا بواسطة التجار الأوربيين الذين قدموا الى موانئ الشام على البحر المتوسط للحصول على هذه المتاجروبيع السلع الأبهة . وفى مواسم التجارة كانت ترد الى سواحل الشام حوالي خمس عشرة ألف جمل محملين بالسلع الشرقية لتعود بالسلع الغربية ومنها الزجاج والانسجحة والمطهر والأسلحة . (١)

وفى حلب كانت تتجمع متاجر شمال الشام وشمال أرض الجزيرة والمتاجر الآتية من أوروبا ، لتبدأ القوافل رحلة العودة الى أرض العراق ودجلة والفرات ، ليتم تصديرها عن طريق البصرة الى الهند والشرق الأقصى وشرق افريقيا . (٢)

وهذا الازدهار الكبير لطريق الخليج - العراق - الشام اعترضته فترات من الفوضى والاضطراب ، أخلت بحالة الأمن فيه وأضررت بالمصالح

(١) نعيم زكي فهمي ، نفس المرجع ، ص ١٤٦ - ١٤٨ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة حلب ، لونكرىك ، نفس المرجع

التجارية للسكان ، ومن هذه الفترات فترة قيام حركة الزنج في جنوب العراق في القرن الثالث الهجري والتي استمرت مدة أربعة عشر عاماً وقد مارس الزنج عمليات النهب لراكب الحجاج والمراكب التجارية في نهري دجلة والفرات .^(١)

وأدت الحروب المدمرة التي قام بها تيمور لنگ في العراق والشام وفارس ، وكذلك الحروب التي نشبت بين خلفاء تيمور لنگ والجلاتيين ، وبين تركمان القره قويونلو والآق قويونلو أدت الى تدهور هذا الطريق ، والى انتشار قطاع الطرق ، والى نهب المدن أثناء هذه الحروب ، فيذكر المقرئى على سبيل المثال في حوادث سنة ٨٣٣هـ : * وكانت بعراقي العرب والعجم نهوب وغارات ومقاتل وخلا أحد جانبي بغداد من السكان ، وزال عن بغداد اسم التمدن ، ورحل عنها حتى الحيّك ، وجف أكثر النخل من أعمالها .^(٢)

ويذكر ابن العماد في حوادث نفس السنة (٨٣٣هـ) فيقول : * وفيها كان الفلاء الشديد بحلب ودمشق والطاعون المفرط بدمشق وحمص ومصر . كما يذكر نفس المؤرخ في حوادث سنة ٨٣٥هـ الخراب

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ١٢ ، ص ١٧٦٨ ، ١٧٧٢ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، قدرى قلججي ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٢) المقرئى ، السلوك ، قسم ٢ ، ج ٤ ، ص ٨٣٧ .

الذى حل بالعراق وفارس في تلك الفترة فيقول : " وفيها خرب الشرق من بغداد الى تبريز من فرط الغلاء وعمومه " .^(١)

ورغم هذه الحروب وما تبعها فان طريق الخليج العربي المار بالعراق والشام لم تتوقف التجارة خلاله تماما ، ولم تنقطع الا في النصف الأول من القرن العاشر الهجري بسبب الغزو البرتغالي للخليج العربي وما واكبته من عدم ورود المتاجر الى البصرة التي تعتبر أهم نقطة على هذا الطريق الحيوى .

أما عن أنواع السلع المنقولة على السفن العربية عبر الخليج العربي ، فقد تعددت أنواع هذه السلع ، فهناك السلع الآتية من الهند والشرق الأقصى وهي التوابل بأنواعها التي استخدمت في الأطعمة وفي صنع العقاقير الطبية ، مثل القرفة والقرنفل والخلنجان والزنجبيل وخيار شمر والراوند والعفص والبلسم والكافور وعرق الكافور والعود الهندي والحبهان وجوز الطيب والزعفران والتوتيا .

وبالإضافة الى التوابل فقد شملت السلع الهندية والصينية أنواع العطور والبخور ومنها عود السند والمسك وخشب الصندل والبخور

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ٢٠٠ ، ٢١١ .

واللادن والمصطكى واللبن الجاوي ، كما حملت السفن من الهند
خشب الساج الذى استخدمه سكان الخليج في بناء المنازل والسفن ،
كما حملت السفن الأحجار الكريمة والمسك والأفيون والصبغات والحريير
والعقيق وزيت السمسم (١) .

وهناك أنواع من السلع حطتها السفن العربية من شرق أفريقيا
الى الخليج العربي منها الذهب والرقيق والعاج والعنبر وجلود النمرور
التي يصنع منها غطاء السروج ، والزبل وهو ظهور السلاحف ويصنع
منه الأمشاط والأخشاب ، والأرز والصمغ وريش النعام .

أما السلع الآتية من البحر الأحمر فكانت اليمن تصدر البرود
والسيوف اليمنية المشهورة والحصر المصنوعة من الجلد والبن والبخور
والصمغ والزعفران النقي والعصفر، ومن المعادن النحاس والزئبق .
أما مصر فكانت تصدر الحبوب والأعلاف والسمسم والقطن والكتان والعصفر

(١) نعيم زكي فهمي ، نفس المرجع ، ص ١٢٠ ، ٢٤٠ ، سليمان
المسكري ، نفس المرجع ، ص ١٥٧ ، ١٦٢ ، آدم متز ، نفس
المرجع ، ص ٣٣٤ .

والنيلة وقصب السكر والتبغ وماء الورد وملح النشادر . (١)

ومن المتاجر المارة في طريق الخليج العربي والواردة من أوروبا عن طريق سواحل الشام فأهمها الحديد والرصاص والنحاس وخيوط الذهب والقضة والاواني الزجاجية والأصواف والساتان والورق والأخشاب^(٢)

وكانت تصدر من العراق - عبر الخليج العربي - التمور العراقية المشهورة، والحناء، والأنسجة القطنية والحريرية والصوفية والعطشور المحلية المصنوعة من ماء الورد والبنفسج والكتان وعائم الخبز ، وزيت السحسب والسكر والنيلة للصبغة، والفواكه المجففة .^(٣)

(١) نعيم زكي ، نفس المرجع ، ص ١٧٤ ، ١٧٦ ، آدم متر ، نفس المرجع ، ص ٣١٤ ، ٣٣٣ ، جب - بوون ، المجتمع الاسلامي والعراق ج ٢ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ، ١٥٥ ،

Serjeant. The Portugues, p.p.10- 11 .

(٢) جب - بوون ، نفس المرجع ، ص ١٥٦ - ١٥٧ ، نعيم زكي ، نفس المرجع ص ٢٤٤ ، ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٣) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢٤ ، ١٢٨ ، آدم متر ، نفس المرجع ، ص ٣٠٩ ، ٣١٢ ، جب - بوون ، نفس المرجع ج ٢ ، ص ١٤٢ ، ١٥٣ - ١٥٤ .

وأما فارس فكانت تصدر عبر الخليج العربي المنسوجات الحريرية والقطنية والصوفية والحرير والستائر وشباب الكتان المشهورة ، والثياب المصنوعة من القصب، والفواكه المجففة والصابون وأنواع الزيوت والدهون، والعطور المصنوعة من البنفسج والخرجس والسوسن ، والزئبق والبارنج ، ومعادن الفضة والحديد والكبريت والنفط والنحاس ومواد الكتابة والبسط الفارسية المسماة بالطناص .^(١)

أما سلع شرق الجزيرة العربية فمن أهمها اللؤلؤ الذي يصدر من البحرين والقطيف وعمان وهو من أفضل أنواع اللؤلؤ عند أهل الهند والصين ، والتمور والبخور والعقاقير ، والمرو الصبر ، واللبان والخيول العربية الأصيلة ، التي كانت تصدر من القطيف وعمان . وكان يجلب الى الهند من الخيول العربية في كل عام حوالي خمسة آلاف رأس .^(٢)

وأخيرا فان الخليج العربي حتى قيام حركة الكشف الجغرافية البرتغالية كان من أفضل طرق التجارة ازدهارا وحيوية ، كما أن بلدان

(١) الاضطخري، المسالك والممالك ، ص ٩٣-٩٤ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٤٢ ؛ آدم مثر ، نفس المرجع ، ص ٣٥٧ ، ٣٦١-٣٦٢ .

(٢) آدم مثر ، نفس المرجع ، ص ٣٢٨ ، ٣٤٨ ؛ جب - بوون ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١٥٢-١٥٨ ؛ سليمان العسكري ، نفس المرجع صفحة ١٣٧-١٣٨ .

الخليج العربي كانت أكثر البلاد ثراءً بما حصلت عليه من من المتاجرة
بالسبع الشرقية ،



(٤) الأحوال السياسية للخليج العربي في القرن

التاسع الهجري



ترتبط الحالة السياسية للإمارات العربية في الخليج فـي
القرن التاسع الهجري بقيام مملكة هرمز وفرض سلطانها على تلك
الإمارات الممتدة من البحرين والقطيف إلى عمان . فقد وصلت غزوات
المغول المدمرة في القرن السابع الهجري إلى الشاطئ الشرقي للخليج
العربي . ولما دمرت مدينة هرمز القديمة التي تقع على الساحل نتيجة
هذا الغزو المغولي ، انتقل أهلها إلى جزيرة في البحر مقابلة للمدينة
الساحلية تسمى "جرون" وأطلقوا عليها اسم هرمز الجديدة . وبمضي
الزمن أقام التجار في هرمز الجديدة مملكة ثرية مزدهرة ، فرضت
سيطرتها على الإمارات العربية في الشاطئ الغربي من الخليج ، وعلى

كثير من جزره ، كما ضمت قسما كبيرا من الشاطئ الشرقي . (١)

وقامت هرمز بحماية المكوس والضرائب من المدن والموانئ التابعة لها ، خاصة من مصايد اللؤلؤ في البحرين وقطر . وكان اللؤلؤ يشكل مصدرا هاما للثروة ، خاصة لحكام هرمز . يضاف الى ذلك أرباح المتاجرة الشرقية الواردة من الهند والشرق الأقصى . وقد زار هرمز بن عاصي ٧٣٠ - ٧٣٢ هـ / ١٣٢٩ - ١٣٣١ م الرحالة ابن بطوطة وقد لفت انتباهه عظم ثراء ملك هرمز المسمى قطب الدين تمهتن بن طوران شاه ، حيث وجد في يده سبعة من اللؤلؤ لا تقدر بثمن ، وذكر أن مصايد اللؤلؤ تخضع لحكمه . (٢) إلا أن ملكة هرمز دب فيها الضعف في أواخر القرن التاسع الهجري ، وما يؤيد هذا القول ما ذكره ابن ماجد من أن ملك هرمز كان يستنجد بأمير البحرين في وقت الشدة ضد أقربائه الطامعين بالسلطان . (٣) ومن شواهد ضعف ملكة هرمز أيضا في أواخر القرن التاسع الهجري أن إمارة البحرين فرضت سيطرتها

(١) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٣٣٩ ، ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص ٢٧٢ - ٢٧٥ ، صلاح العقاد ، التيارات السياسية ، ص ٩ - ١٠ .

(٢) ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٣) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ٣٠٠ ، ٣٠٢ .

على عمان سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م وصارت تأخذ الكثير من محاصيلها سنوياً . (١)

أما نظام الحكم في الامارات التابعة لمملكة هرمز فقد كان في أيدي بعض القبائل ، فالبحرين - على سبيل المثال - كانت تتكون من ثلاث مائة وستين قرية تسكنها قبائل من العرب تشتغل بالتجارة والزراعة ، بلغت أوج قوتها في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي . (٢)

وفي النصف الثاني من القرن التاسع الهجري حكم البحرين آل جبر بن زامل ، يعود أصلهم الى قبيلة من قبائل نجد نزحت الى الأحساء سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م . واستأثر بحكم الأحساء سيف بن زامل بن حسين العقيلي الجبري ، وبعد أن انتصر على آخر ولاية الجرا بقاء القرامطة في الأحساء . ولما مات سيف بن زامل تولى الحكم في الأحساء بعده أخوه أجود بن زامل ابن حسين الجبري الذي ، استنجد به السلطان سرغل بن نور شاه ملك هرمز ضد أخيه الذي نازعه الملك سنة ٨٨٠ هـ / ١٤٧٥ م . ولما أعانه أجود بن زامل في استرداد ملكه وهبه حكم القطيف والبحرين . وبعد وفاة أجود تولى ابنه سيف

(١) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ٣٠٢ .

(٢) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ٣٠٠-٣٠١ .

ابن زامل الذى وسّع أطراف امارته على حساب جيرانه ، فاستولى على عمان من أميرها سليمان بن سليمان بن نبهان سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م ، وولى عليها أميرا من قبله هو عمر بن الخطاب الأباضي أو الخروصي .^(١)

وأما الابن الآخر لأجود بن زامل واسمه مقرن فقد حكم البحرين وعلان في النصف الأول من القرن العاشر الهجرى . وفي عهده استولى البرتغاليون على البحرين سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢١م وقتلوه بعد عودته من الحج في تلك السنة .^(٢)

أما عمان فمنذ القرن الثامن الهجرى كان يحكمها بنو نبهان وهم من قبيلة الأزد بن الغوث .^(٣) وقد هاجمها أمير البحرين سيف بن أجود بن زامل الجبرى وقضى على الاسرة النبهاية وولى عليها عمر بن الخطاب الأباضي كما سبق القول . وحكم الاباضية عمان حتى بدايئة القرن العاشر الهجرى حينما غزا البرتغاليون عمان سنة ٩١٣هـ / ١٥٠٧م وكان حاكمها آنذاك هو محمد بن اسماعيل الخروصي (٩٠٦-٩٢٠هـ / ١٥٠٠م)^(٤)

- ١٥٣٥ م)

-
- (١) عبد الله السالمى ، نهضة الأعيان ، ورقة ٧٩ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ١٩٠ ، ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ٣٠٢ ، الاحسائى ، تحفة المستفيد ، ج ١ ، ص ١٢٠ .
- (٢) انظر مايلي ص ١٢٤
- (٣) ابن بطوطة ، تحفة للنظار ، ص ٢٧٢ .
- (٤) عبد الله السالمى ، نهضة الأعيان ، ورقة ٧٩ ،

ومن مدن عمان الساحلية قلهاث ومسقط وخورفكان وصحار، وكانت هذه المدن تدفع لمملكة هرمز إتاوة سنوية، فمثلا كانت قلهاث تدفع سنويا مبلغ ألف ومائة ديناراً أشرفيا^(١). وتدفع مسقط أربعة آلاف ديناراً أشرفيا وصحار ألف وخمسمائة ديناراً أشرفيا وخورفكان ألف وخمسمائة ديناراً أشرفيا^(٢).

أما عن الحالة السياسية لبلاد فارس والعراق في القرن التاسع الهجري فقد سادت العراق وفارس ظروف سياسية مشتركة خلال ذلك القرن، حيث أن الاسرة الحاكمة التي حكمت العراق غالبا ما كانت تمت نفوذها الى بلاد فارس أو العكس. ففي بداية القرن التاسع كانت تسيطر على العراق وكردستان واذريجان الدولة الجلائرية التي أسسها تاج الدين حسن بزرك عام ٧٣٦هـ/١٣٣٦م^(٣) بينما كانت بلاد فارس تخضع لحكم التيموريين. ولم تكن سيرة الجلائريين في العراق حسنة حتى كرههم أهل العراق وحاول أهل بغداد طرد الجلائريين

(١) الدينار الاشرفي: دينار من الذهب ضرب في عهد السلطان المملوكي الاشرف برسباي (٨٢٥هـ-٨٤٢هـ/١٤٢١م-١٤٣٨م) واطلق عليه لفظ الاشرفي وهو يساوي وزن الدوكات البندقي (٣٤٥ جرام) انظر عبد الرحمن فهمي محمد، النقود العربية، ص ٩، ٩٩.

(٢) Milles. op. cit. p.p. 155 - 156.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية، مادة بغداد.

منها سنة ٨٠٢هـ / ١٣٩٩هـ في عهد السلطان أحمد بن أويش الجلائرى ،
الذى استنجد بأمير من التركمان يدعى قره يوسف حاكم قبيلة قره قوينلـسو
(الشاة السوداء) في اذربيجان وشرق الأناضول ، وقد لحقت الهزيمة
بأحمد بن أويش وقره يوسف فأصبحا طريدين خارج بغداد . (١)

وخلال هذه الحوادث وفي سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠١م دخل تيمورلنك
العراق وخرّب بغداد والبصرة والكوفة ففر من العراق أحمد بن أويش
وقره يوسف والتجأ الى بلاط بايزيد الأول رابع سلاطين العثمانيين
(٢)
(٧٩١ - ٨٠٤هـ / ١٣٨٩ - ١٤٠٢م)

وفي عام ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م عاد السلطان أحمد بن أويش الى
بغداد بعد موت تيمورلنك ، وعمل على اصلاح ما خربه في بغداد واعاد
تحصينها ، كما أعاد قرا يوسف الى امارته .

وحدث أن ثارت المنازعات بين السلطان أحمد وقرا يوسف أمير

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ٢١٥ ، لونكريك
نفس المرجع ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٢) المقرئى ، السلوك ، قسم ٣ ، ج ٣ ، ص ١١١٦ ، ابن تغرى بردى ،
النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ٢٦١ ، لونكريك ، نفس المرجع ، ص ١٧
سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ص ٣١ ، ٣٧ .

التركمان بسبب التنافس حول السيطرة على تبريز في فارس . ودخل الطرفان في حروب مستمرة ، وأخيرا تمكن قرا يوسف من قتل السلطان أحمد والاستيلاء على دولته عام ٨١٣هـ / ١٤١٠م وبذلك قضى على آخر السلاطين الجلائريين في العراق .^(١)

ثم أخذت دولة قره قوينلو في الاتساع فشملت وسط وشمال العراق وأذربيجان في شمال فارس . واشتدت الحرب بين قرا يوسف وشاه رخ - التيمورى الذى حكم معظم بلاد فارس حتى وفاة قرا يوسف سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م . وقد امتدت دولة التيموريين الى الشاطئ الشرقى للخليج العربى وجنوب العراق ومن ضمنها البصرة ، فقد حكمها حتى سنة ٨٣٩هـ / ١٤٣٥م ميرزا ابراهيم بن شاه رخ .^(٢)

وفى سنة ٨٥١هـ / ١٤٤٧م كانت دولة القره قوينلو قد توسعت على عهد السلطان جهان شاه حتى وصلت الى شط العرب وفارس وكرمان وبلغت الدولة في عهده أوج قوتها . ورغم ذلك استمرت الحروب بينه وبين الأبراء التيموريين بالإضافة الى خروج كثير من ولاته عليه ،

(١) عبد النعيم حسنين ، ايران في ظل الاسلام ، ص ٢٠ - ٢١ ، لوتكريك نفس المرجع ، ص ١٧ ، دائرة المعارف الاسلامية ، مادة بغداد .

(٢) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ١٦٣ ، ٢٢٩ .

مما سماعه على زوال دولته على أيدي قبيلة تركمانية أخرى كانت تحكم في ديار بكر شمال العراق وكانت تخضع لنفوذ مملكة القره قوينلو، وهي قبيلة الآق قوينلو (الشاة البيضاء) .^(١)

وقد هاجمت هذه القبيلة التركمانية (آق قوينلو) بغداد بقيادة أوزون حسن سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م وقضت على السلطان جهان شاه ومملكته القره قوينلو ومدو نفوذهم بعد ذلك إلى الجزء الغربي من بلاد فارس ، بينما بقي الجزء الشرقي منها في أيدي الأمراء التيموريين حتى بداية القرن العاشر الهجري ، عندما قضت عليهم الدولة الصفوية.^(٢)

ولم يؤثر تعاقب الدول والحكم في تحسين حالة العراق وبلاد فارس ، بل استمرت المنازعات والفوضى السياسية حتى قامت الدولة الصفوية عام ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م وفرضت سيطرتها على العراق وبلاد فارس في بداية القرن العاشر الهجري .

(١) لونكريك ، نفس المرجع ، ص ١٨ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مادة بغداد .

(٢) عبد النعيم حسنين ، نفس المرجع ، ص ٢١ - ٢٢ ، لونكريك ، نفس المرجع ، ص ١٨ .

ولاشك أن هذه الغوضى السياسية في فارس والعراق قد أثرت
تأثيراً سيئاً على ازدهار طريق التجارة المار في كل من فارس والعراق
والشام^(١)، كما أن هذه الحالة السياسية المتدهورة في فارس والعراق
والامارات العربية قد مهدت للغزو البرتغالي للخليج العربي في
بداية القرن العاشر الهجري .

(١) انظر ما سبق ص ٤٦٩

الفصل الثاني

كشف طريق رأس الرجاء الصالح
ووصول البرتغاليين إلى الهند والخليج العربي

١- العوامل التي أدت إلى اكتشاف الجغرافية
وخاصة العوامل الدينية الصليبية .

٢- فضل التجارة العرب في كشف البرتغاليين

٣- جهود بارثلميو دياز وفاسكو دي جاما في
اكتشاف رأس الرجاء الصالح .

٤- نتائج كشف طريق رأس الرجاء الصالح

مع بداية القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى انتهت جهود الرحالة البرتغاليين باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح والوصول الى الهند ، والتطلع بعد ذلك الى السيطرة على شواطىء شبه الجزيرة العربية وأهمها شواطىء الخليج العربي الذى يمثل مركزا تجاريا هاما على طريق الهند .

(١) العوامل التى أدت الى الكشف الجغرافية وخاصة

العوامل الدينية الصليبية

٥٥

لا شك أن العوامل الدينية من أهم العوامل التى أدت الى حركة الكشف الجغرافية التى تعتبر حلقة من سلسلة الحروب الصليبية ومن المعروف أن الحروب الصليبية لم تنته فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلاد ، وأن النصر الحاسم الذى حققه المسلمون على الصليبيين فى مصر والشام لم يمهّد العداء المبرر للإسلام ، بل نرى هجمة أخرى تشنها الصليبية تخرج من البرتغال . ولا شك أن التوسع المسيحى فى الأندلس فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى على حساب المسلمين ثم طردهم منها لتعتبر حلقة أخرى من سلسلة الحروب الصليبية ضد الاسلام وان لم تكن آخرها .^(١)

(١) انظر أيضا سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٢٥٧-١٢٥٨

، أحمد دراج ، الماليك والفرنج ، ص ٨٤-٨٥ .

ومهما تعددت الشروح والأقاويل عن أسباب قيام البرتغاليين بحركتهم الهائلة ، للالتفاف حول افريقية ، فاننا نجد أن الدافع الحقيقي لهذه المغامرة هو مواجهة الاسلام في عقرداره . وهذه فكرة سيطرت على العالم الأوربي المسيحي منذ زمن طويل وازدادت الحماسة لها في القرن السادس عشر ، فالقيام بهذه الحركة يعني الالتفاف حول العالم الاسلامي .^(١)

وأسبغت البابوية والكنيسة الكاثوليكية رعايتها الروحية على هذه الجهود وأيدتها في جميع مراحلها دون تردد . ففي عام ١٤٥٩م أصدر البابا نيقولا الخامس منشورا يبارك فيه جهود الأمير هنرى الملاح ويعطيه الحق في أن يغزو جميع الشعوب والأقاليم التي يسودها أعداء المسيح .^(٢) وكذلك أصدر البابا كاليكستوس الثالث سنة

(١) Shaw. The Ottoman Empire. Vol.1., p.99.

عبد العزيز الشناوى ، أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، ص ١١١ ،
بانيكار ، آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٢٩ ؛ السيد رجب حراز ،
عصر النهضة ، ص ٣٠٩ .

(٢) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٢٦ - ٢٧ ؛ عبد العزيز الشناوى
نفس المرجع ، ص ١١٢ - ١١٥ ؛ أحمد دراج ، نفس المرجع ،
ص ٨٥ - ٨٧ .

١٤٥٦هـ / ١٨٦١م مرسوما آخر بنفس المعنى ، بالاضافة الى ثلاثة مراسيم
أصدرها البابا اسكندر السادس سنة ١٨٩٩هـ / ١٤٩٣م .^(١)

ولاشك أن محاولة التقليل من شأن الدافع الديني وراء حركة
البرتغاليين الكشفية هو أمر أصبح ينافي الوقائع والحوادث في تلك الفترة ،
ولا يفسرها التفسير الصحيح . فقد سيطرت على البرتغاليين في
القرن العاشر الهجري ، فكرة تحويل أعدائهم المسلمين الى المسيحية
في كل مكان يتواجدون فيه ، سواء في آسيا أو افريقية^(٢) . وقس ذلك
المؤرخ المسلم المعاصر زين الدين بقوله : * ثم أن بغيتهم العظمى
وهتهم الكبرى قديما وحديثا ، تغيير دين المسلمين وادخالهم فسي
النصرانية نعوذ بالله من ذلك * .^(٣)

يضاف الى ذلك أن الباحث يلاحظ علاقة طرد المسلمين من
الاندلس بالكشوف الجغرافية ، ففي نهاية القرن الثامن الهجري /

(١) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٢٨-٢٩ ؛ أحمد دراج ، نفس المرجع
ص ٨٥-٨٦ .

(٢) رجب حراز عصر النهضة ، ص ٣٠٩ .

(٣) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤٦ .

الرابع عشر الميلادي أخذ الضعف يدب في دولة الاسلام بالأندلس بينما ازداد المسيحيون قوة . وما أن قضى المسلمون في مصر والشام على فلول الصليبيين حتى أخذ هؤلاء يعيدون الكرة مرة أخرى مع مسلمي الأندلس الذين تفاقت شروورهم فيما بينهم ، وأخذ نفوذهم في الانحسار أمام قوة الصليبيين واتحادهم .^(١) وفي سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٢ م انقض الصليبيون على مملكة غرناطة آخر الممالك الاسلامية بالأندلس وقضوا عليها ، لتبدأ مرحلة تتبع المسلمين في كل مكان في السبر والبحر والى شمال أفريقية^(٢) ، ومن ثم التفكير بتطويق المسلمين من الجنوب ونشر المسيحية بينهم لكي لا يفكروا بالعودة الى الأندلس مرة أخرى . وهكذا أصبحت أسبانيا والبرتغال نصيرة المسيحية المتعصبة وراعتها في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي^(٣).

(١) أحمد دراج ، نفس المرجع ، ص ٩٤-٩٥ .

(٢) سعيد عاشور ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١٢٥٣-١٢٥٤ ، محمد

عبد الله عنان ، نهاية الأندلس ، ج ٤ ، ص ١٦٨ ، رجب

حراز ، عصر النهضة ، ص ٣٠٩ .

(٣) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٢٤ .

يضاف الى ذلك أن فتح العثمانيين للقسطنطينية سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م وتهديدهم أوروبا الشرقية أثّر في زيادة روح الكراهية ضد المسلمين بصفة عامة ومسلمي الأندلس بصفة خاصة .^(١)

وتوجد رابطة وثيقة بين طرد المسلمين من الأندلس وقيام البرتغاليين برحلات كشفية حول شواطئ أفريقيا الغربية . فبعد القضاء على القوى الإسلامية في الأندلس بحث الصليبيون الأوربيون عن طريق آخر يوصلهم الى الأراضي المقدسة في فلسطين غير الطرق المعروفة والمطروقة عبر العالم الإسلامي . ووجدوا صعوبة بالغة في ضرب الإسلام بواسطة الطرق التي استخدمها الصليبيون من قبل ، ففي الشام ومصر كانت تقوم دولة المماليك ، وفي آسيا الصغرى قامت الدولة العثمانية ، وفي شمال افريقية كان يتصدى لهم مجاهدوا البحر المسلمين ، وهم عبارة عن قوة إسلامية تكونت للدفاع عن شواطئ شمال افريقية ضد الغارات الصليبية .^(٢)

(١) سعيد عاشور ، نفس المرجع ، ص ١٢٤٩ - ١٢٥٠ ، محمد عبد الله عنان ، نفس المرجع ، ص ١٦٨ .

(٢) محمد عنان ، نفس المرجع ، ص ٣٨٣ - ٣٨٥ ، عبد العزيز الشناوي ، نفس المرجع ، ص ١١٥ .

اذن فالرحلات الكشفية كانت الوسيلة الفعالة لدى الصليبيين للوصول الى قلب العالم الاسلامي . يضاف الى ذلك أن المدّ العثماني في أوروبا ، كان له أثره على حركة الكشف الجغرافية . فقد فتحت القسطنطينية على يد محمد الثاني (الفاتح) سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م ، وتردد صدى هذا الفتح في أسبانيا كما تردد في كل أنحاء أوروبا المسيحية . وازداد الحقد الصليبي ضد المسلمين والخوف الشديد من مداهممة الاسلام لأوروبا . وحاولت أوروبا القضاء على القوى الاسلامية بكل السبل الممكنة . اذن فان استيلاء العثمانيين على القسطنطينية ، وقيام حركة الكشف الجغرافية من أسبانيا والبرتغال ، حدثان ارتبطا أحدهما بالآخر ، بحيث اهتمت الجغابوية بكلا الحدثين اهتماما كبيرا ، نظرا لارتباطهما ببعضهما من ناحية الصراع بين المسيحية والاسلام . وما يبرهن على ذلك أن البابا نيقولا الخامس (ت ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م) الذي أصدر مرسوما ببارك فيه جهود هنرى الملاح الكشفية ، هو نفسه الذى جدّ في توحيد ايطاليا ، وعمل جاهدا على تكوين حلف صليبي ضد الدولة العثمانية للقضاء عليها لولا أن أدركه الموت قبل أن يحقق آماله . كما أن البابا كاليكستوس الثالث ، الذى أصدر مرسوما سنة ٨٦١هـ / ١٤٥٦م يؤكد المنحة التي وهبها نيقولا الخامس لهنرى الملاح ، هو نفسه الذى شرع للنصارى صلاة التبشير (Angelus) التي يطلبون فيها النصر على الاتراك ، كما بذل أقصى جهوده لتأليب

أوروبا ضد المسلمين ، وتكوين حلف صليبي هدفه محاربة العثمانيين ، واسترداد القسطنطينية منهم ، والحد من خطرهم على أوروبا ، بـسـلـ والقضاء عليهم نهائيا ان أمكن ذلك .^(١)

وانتشرت في أوروبا منذ القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى اسطورة برسترجون Prester John أو القديس يوحنا ، وهي أسطورة أدبية عن بطريك مسيحي اسمه القديس يوحنا ، أسس امبراطورية مسيحية كبرى في الشرق ، وحكم الهند والصين والحبشة التي كانت تعتبر الجزء الغربي من تلك الامبراطورية . وتحكي الاسطورة أنباء عجيبة عن هذه الامبراطورية ، وملكها المقدس ، وسلطته المطلقة على اثنين وسبعين ملكا في الهند ، وفتوحاته العظيمة ، وثناء بلاده الهائل وأن له استعدادا كبيرا لقتال أعداء المسيح .^(٢)

بمرور الزمن تطورت هذه الاسطورة ، حتى أضحت فى نهاية القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى صورة تعبر عن آمال الصليبيين

(١) سالم الرشيدى ، نفس المرجع ، ص ١٥٩-١٨٨ .

(٢) Tamrat, Ethiopia the Red Sea. in the Cambridge history of Africa, Vol.3.p.p.177- 178 .

محمد البحراوى ، فتح العثمانيين عدن ، ص ٦٣ ، عبد المجيد عابدين ، الحبشة والعرب ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

في تكوين تحالف مع هذا الملك القوى ، لضرب قلب العالم الاسلامي خصوصا بعد ما حققه المسلمون من انتصارات في الشام ومصر على الصليبيين . وأصبحت هذه الأسطورة تنحصر في مملكة الحبشة المسيحية ابان القرن السابع الهجرى ^(١) ، بعد أن تواترت الأنباء الى أوروبا عن ملوك الحبشة الأقوياء ، الذين يحاربون المسلمين المحيطين بهم هناك . وفسر الأوروبيون هذه الحروب كجزء من الحروب الصليبية ضد أعدائهم المسلمين . ^(٢)

ويعتبر البرتغاليون أول من بحث عن امبراطورية "برستر جون" بكل جدية ومثابرة ، وأقاموا اتصالات مع الحبشة قبل نهاية القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى . ^(٣) ففي سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٧ م أرسلت البرتغال بعثتين لاكتشاف موقع امبراطورية برستر جون ، وكان

(١) Tamrat. op. cit. p. 179

(٢) هم مسلمي الطراز أو دويلات المدن على ساحل البحر الأحمر التي أحاطت بالحبشة وبالأخص على عهد الاسرة السلطانية التي أسسها "يكنوا ملاك" عام (٦٦٩هـ / ١٢٧٠م) . وقام ملوك هذه الاسرة باضطهاد المسلمين من حولهم وشنوا عليهم حروبا عديدة أحرزوا فيها انتصارات كثيرة .

انظر دائرة المعارف الاسلامية ، مادة الحبشة .

(٣) Tamrat. op. cit. p. 179-180 ;

عبد المجيد عابدين ، نفس المرجع ص ١٦٩ - ١٧٠ .

ذلك قبل ثلاثة أشهر من بداية رحلة " بارثلميو دياز " حول رأس الرجاء الصالح . وكان أحد هذين البعثين يدعى بيرودى كوفيلهام Pero de Covilham واستغرقت رحلته سبع سنوات . ثم بعثت البرتغال بعد ذلك بالقسيس البرتغالى جواجويمز Jobo Gomez لنفس المهمة ، (١)

وتبع هذه البعثات الكشفية ، جهودا بحرية كبيرة قام بها البرتغاليون ، للالتفاف حول أفريقية بقصد الاتصال بهذا الملك . ووصل بهم الأمل الى حد تحويل سكان الحبشة من المذهب الأرثوذكسي الى المذهب الكاثوليكي ، بالإضافة الى تحويل سكان الهند المسلمين والوثنيين الى المسيحية . (٢) وكان القرض الرئيسى لرحلة بارثلميو دياز هو ايجاد ملكة القسبرسترجون ، والاتصال به فى ساحل افريقية الشرقى . وشرح المؤرخ البرتغالى سوزا Sousa هذا الهدف بقوله : " كان الملك يحدوه الأمل بتنفيذ ما بدأ القديس توماس ، (٤) وزرع الديانة المسيحية فى تلك البلاد " . (٥) وسنرى فيما بعد كيف استطاعت البرتغال توطيد

(١) Tamrat. op. cit. p. 180. .

(٢) عبد العزيز الشناوى ، نفس المرجع ، ص ١١٠ .

(٣) يسرى الجوهرى ، الكشوف الجغرافية ، ص ١٣١ .

(٤) تذكر اسطورة برسترجون أن القديس توماس هو أول من نشر المسيحية

فى الهند ، انظر عبد المجيد عابدين ، نفس المرجع ، ص ١٦٨ .

(٥) Sousa . op. cit. Vol. (1).p. 63 .

علاقتها مع الحبشة ضد المسلمين .

وللأمير هنرى الملاح دور هام في حركة الكشف الجغرافية، ويعتبر هنرى الملاح- الابن الثالث للملك جون الأول ملك البرتغال (١٣٩٤ - ١٤٦٠ م) - محاربا صليبيا من الدرجة الأولى ، له سيرة حافلة بحروبه ضد المسلمين في شمال افريقية . واشتهر هنرى الملاح بكراهيته الشديدة للمسلمين واعتبر ملاحقتهم واجبا دينيا مقدسا .^(١) فقد نشأ هنرى في دير من الأديرة الأسبانية وتشرب تعاليم الكنيسة ، وبغضها الميرور للسلام والمسلمين ، كما ترأس بعد ذلك طائفة الرهبان اليسوعيين (الجزويت)^(٢) . ونظرا لكثرة أموال طائفة الرهبان ، فقد انشأ هنرى مدرسة بحرية ، ومرصدا في قلعة على رأس ساجرس Sagres في الطرف الجنوبي لشاطئ البرتغال . وجلب هنرى الى قلعة علماء الرياضيات ورسمي الخرائط والفلكيين ، وقد استعان أيضا بأسرى المسلمين الذين لهم دراية كبيرة بشئون الفلك والبحر والأسفار الطويلة والجزر البعيدة . وبذل جهودا كبيرة في تحسين بناء السفن من حيث الحجم والقوة والمتانة .^(٣)

(١) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٢٥ ؛ محمد البهراوى ، نفس المرجع ٥٦-٥٧

(٢) Macgregor, Europ and the East, in The New Cambridge Modern History. Vol.(2). p. 591 .

(٣) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٢٥-٢٦ ؛ السيد رجب حراز ، عصر النهضة ،

ص ٣١٤-٣١٥ ، شيني ، تاريخ العالم الغربي ص ١٢٥ .

وفي عهد هنرى الملاح اكتشفت جزر ماديرا Madeiras
سنة ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م ، وجزر أزورس Azores في سنة ٨٣٥هـ / ١٤٣١م
وعبر بحارته رأس بوجادور Bojador في سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م حتي
وصلت الرحلات البرتغالية الى ساحل جامبيا والسنغال .^(١)

وفي عام ٨٥٩هـ / ١٤٥٤م تلقى هنرى الملاح التأييد الروحي
من البابا نيقولا الخامس الذى أصدر له مرسوما يبارك فيه جهوده في
هذا المجال . وقرر البابا في مرسومه أن للأمير هنرى الحق في جميع
البلدان التي يكتشفها حتى الهند ، ودعاه لأن يدخل في الكاثوليكية
أعداء المسيح جميعا . وفي عام ٨٦٩هـ / ١٤٥٦م تلقى هنرى الملاح
مرسوم البابا كاليكستوس الثالث ، الذى يؤكد فيه ما جاء في مرسوم نيقولا
الخامس ، وبذلك وجد هنرى الدوافع القوية لمواصلة جهوده لتحقيق
غاياته الهامة ، وهى مهاجمة الاسلام من الشلف ، والقضاء عليه في كل
من آسيا وأفريقية .

ويلاحظ أن هذه العوامل الدينية كلها هي عوامل متداخلة مترابطة
يصعب الفصل بينها ، ولكن النتيجة الهامة لهذه الدراسة ، هــي
أن العامل الدينى كان هورائد البرتغاليين في حركة كشفهم
الجغرافية .

(١) يسرى الجوهرى ، نفس المرجع ، ص ١٢٨-١٣٠ ، شيني ، نفس
المرجع ، ص ١٧٦ .

أما عن العوامل الاقتصادية التي أدت الى قيام حركة الكشف الجغرافية فستلي العوامل الدينية . ولا شك أن الموقع الجغرافي الذي تتميز به البرتغال جعلها مؤهلة للقيام بمهمة الكشف والإرتياد البحري ، وذلك لأنها تلك شواطئ طويلة على المحيط الأطلسي بالإضافة الى أن لشبونة أصبحت في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، ومستودعا لتجارة الشرق وهي في طريقها الى أوروبا .^(١)

يضاف الى ذلك أن البرتغال كانت سباقة الى الاتصال بالمدينتين التجاريتين في ايطاليا : جنوة والبندقية ، واستفادت كثيرا من خبراتهما في فن الملاحة . فقد تعلم البرتغاليون من سكان هاتين المدينتين كيفية بناء السفن الكبيرة التي تصلح للمحيطات ، والتي تتميز بالمتانة والقوة . واشترى دون بدرو Don Pedro البرتغالي نسخة من كتاب رحلة ماركوبولو من مدينة البندقية ، وأهداها السي أخيه الأمير هنري الملاح ، المشهور بتشجيعه لحركة الكشف البحرية .^(٢)

(١) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٢٤ ؛ عبد العزيز الشناوي ، نفس المرجع ،

ص ١١٩ .

(٢) فيشر ، اوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٤٦٢-٤٦٣ ؛ عبد العزيز الشناوي ، نفس المرجع ، ص ١١٥ ؛ السيد رجب حراز ، عصر النهضة ،

ص ٣٠٦ .

وعن طريق الاتصالات بنهايتين المدينتين التجاريتين ، عسرف
البرتغاليون قصصا عن الشرق ، تحكي عن ثرائه وحضارته الراقية ، وأسعار
التوابل وكثرتها هناك . وشاهد البرتغاليون أيضا مدى ثراء البنادقة
والجنوبيين ، نتيجة احتكارهم نقل السلع الشرقية من موانئ مصر والشام الي
أوروبا . وعرف البرتغاليون أيضا مدى سيطرة المسلمين على كل الطرق
التجارية المؤدية الى الشرق . فالعالم الاسلامي بموقعه الغريد بين
الشرق والغرب ، أصبح المحتكر الوحيد لتجارة الشرق ، واستفادت موانئه
ومدنه التجارية من الضرائب المفروضة على هذه المتاجرة . ~~وأدرك~~
البرتغاليون أن التجارة هي أحد أسباب قوة عدوهم ، لذلك رأوا
ضرورة القضاء على احتكار المسلمين للتجارة الشرقية ، وخاصة التوابل
وذلك لتحقيق هدفهم الرئيسي ، ألا وهو القضاء على الاسلام والمسلمين .
وهكذا سخر البرتغاليون العامل الاقتصادي أيضا لتحقيق الغرض الديني .^(١)

وكانت للتوابل - وخاصة الفلفل - في القرنين الرابع عشر والخامس
عشر الميلاديين أهمية كبيرة في أوروبا نظرا لحاجة الطبخ الأوربي لها .
وازدادت قيمة التوابل بشكل كبير ، حتى أصبحت توازي أسعار الأحجار
الكريمة ، وأصبح كثير من التجار الأوربيين المشتغلين في تجارة التوابل

(١) محمد البحراوى ، نفس المرجع ، ص ٥٤ - ٥٦ ؛ أحمد دراج ، نفس
المرجع ، ص ٨٤ - ٨٥ ؛

أو البهار من أعظم الأثرياء . (١) وما أدى الى زيادة أسعار هذه السلع في أوروبا الرسوم الجمركية الباهظة ، التي كانت تفرضها الدول الإسلامية في مصر والشام وفارس ، لتحكمها في الطرق المؤدية الى الهند والشرق الأقصى ، مصدر تجارة التوابل .

وكانت دولة المماليك - على سبيل المثال - تفرض رسوما عالية عند وصول التوابل الى السويس ، وعند إعادة شحنها في الاسكندرية حتي وصل ثمن حمل الفلفل في الاسكندرية الى ١٢٠ أو ١٣٠ دينارا ، وما أن تصل هذه التوابل الى أوروبا ، حتى يكون ثمنها قد زاد أضعافاً مضاعفة . (٢)

وأشار المؤرخ زين الدين في القرن العاشر الهجري ، الى الدوافع الاقتصادية لوصول البرتغاليين الى الهند والخليج العربي بقوله : "سبب وصولهم الى طييار ، على ما يحكي عنهم طلب بلاد الفلفل ليختص تجارتهم بهم ، فانهم ما كانوا يشترونه الا من التجّدين يشترونه ، ممن

(١) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٢١ .

(٢) احمد دراج ، ايضاحات جديدة ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، عدد عام ٦٧/٦٨ م ، ص ٢٢٠ ، بانيكار نفس المرجع ، ص ٢٢-٢٣ ، شارل ديل ، البندقية ، ص ١٤٥-١٤٦ .

يجلبونه من مليار بوسائط * (١)

والى جانب العوامل الدينية والاقتصادية ، هناك عوامل أخرى أدت الى الكشف الجغرافية ، ووصول البرتغاليين الى الهند والخليج العربي ، ومن هذه العوامل الرغبة في زيادة المعلومات الجغرافية . ففي عصر النهضة الأوروبية أطلع البرتغاليون على مجهودات العلماء المسلمين في ميدان الملاحة والفلك ، كما أنهم ورثوا مظاهر الحضارة الإسلامية في الاندلس بعد طردهم المسلمين منها ، وعنهم عـرف الأوربيون البوصلة والاسطرلاب .

ووجد البرتغاليون أن مجالهم البحري يتصل كثيرا بأفريقية والمحيط الأطلسي . وكانت المعلومات الجغرافية عنهما شبه مجهولة ، وتغلب عليها الخرافات والاساطير ، فكان يقال مثلا بأن ساحل أفريقية الغربي خال من السكان ، وأن الرجل الأبيض عندما يصل الى منطقة معينة من الشاطئ الإفريقي يتحول الى اللون الأسود من شدة الحرارة ، وأن الملاحة مستحيلة كلما توغل الانسان في الشاطئ الإفريقي ، وأنه لا يمكن الطـرـق حول إفريقية من ناحية الجنوب نظرا لالتصاقها بالقطب الجنوبي (٢).

(١) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٣٧-٣٨ .

(٢) عبد العزيز الشناوى ، نفس المرجع ، ص ١١٢-١١٨ ؛ السيد رجب

هراز ، عصر النهضة ، ص ٣١٢ .

ودفع هذا البرتغاليين للتحقق من مدى صحة هذه الآراء وامكان الالتفاف حول افريقية ، للوصول الى الهند بعد أن تأكدوا تماما من كروية الأرض ، إثر تحريرهم من النظريات اليونانية القديمة ، والفضل في ذلك يرجع لعلماء المسلمين .^(١)

٥٥

(٢) فضل البحارة العرب في كشف البرتغاليين

٥٥

وتؤكد المصادر والمراجع التاريخية فضل البحارة العرب في كشف البرتغاليين . فقد عرف العرب ركوب البحر منذ أقدم العصور ، وبعد ظهور الإسلام ركبوه للجهاد والتجارة ، واستخراج كنوز البحار الممثلة في مصيد اللؤلؤ في الخليج العربي .

(١) فيشر ، نفس المرجع ، ص ٤٦٢-٤٦٣

وعندما اتسعت الدولة الإسلامية من أوروبا غربا الى بلاد الصين شرقا كثرت رحلات المسلمين البحرية . وساهمت هذه الرحلات كثيرا ، في تطوير علم الجغرافيا ، وتصحيح كثير من آراء اليونان الخاطئة حول تصورهم للعالم ^(١) . ووضع المسلمون خرائط بحرية ، للارشاد الملاحي ، واخترعوا البوصلة البحرية والاسطرلاب ،

يقول مايلز Milles ، " في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تؤمن بأن الأرض مسطحة وكانت على أتم الاستعداد لأن تحرق كل من يخالف ذلك ، كان العرب يدرسون الجغرافيا باستخدام الكرات الأرضية " . ^(٢)

ومن أشهر العلماء والرحالة المسلمين الذين جاهاوا العالم المعروف آنذاك : المسعودي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) والأدريسي الأندلسي (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) الذي قام برحلات عديدة ما بين آسيا والساحل الغربي لإنجلترا ، وقضى في صقلية مدة خمسة عشر عاما ، في التأليف ورسم الخرائط والدرس والبحث ، وقام بدور المعلم لأوروبا في تلك الفترة . ^(٣)

(١) هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ١٨٤ ، أنور عبدالمعالم ابن ماجد الملاح ص ٣٠-٣٣ .

(٢) Milles. op. cit. p.p. 363 - 364.

(٣) هونكه ، نفعي المرجع ، ص ١٨٤ - ٢٠٤ ، جلال مظهر ، مآثر العرب على الحضارة الأوروبية ، ص ١٧٠ ، غوستاف لوهون ، حضارة العرب ، ص ٧٠٤

ومن الرحالة المسلمين ابن جبير صاحب " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار " المتوفى سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م ، وابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) الذي استمرت رحلته أربعة وعشرين عاما ، دونها في كتابه المشهور " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " .

ولا نكون مبالغين اذا قلنا بأن أوروبا قد أخذت المعلومات الجغرافية الخاضعة للتجربة والمحققة من علماء المسلمين لا من غيرهم بأى حال من الأحوال ^(١) . وما يؤيد ذلك قول ابن ماجد في كتابه " الفوائد " عن أهمية منهج التجريب : " ولم نستفد في زماننا هذا شيئا له صحة كعلومنا وتجاربتنا واختراعاتنا التي في كتابنا هذا ، لأنها مصححة مجربة وليس على التجريب شئ أحسن منه " ^(٢) ، وقول سليمان المهرى :

(١) هونكه ، نفس المرجع ، ص ٤١٧ - ٤٢٠ ، غوستاف لوبون ونفس المرجع ، ص ٤٣٥ ، سيديو ، تاريخ العرب المعاصرين ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٩ .

(٢) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ١٦٠ .

* أصل علم البحر إنما هو مستخرج من نظر العقل مع التجربة * (١)

وقد كان لليهود دور كبير في نقل المعلومات الجغرافية العربية الإسلامية الى المسيحيين في الأندلس ، فقد استعان ملك قشتالة * الفونس العاشر * Alfons X (١٢٥٢-١٢٨٤م) بخبرة اليهود - الذين تطقوا علومهم عن العرب - في جمع معلومات ومعارف العرب الفنية في مجال الفلك ، (٢) وبعد أن طرد المسلمون من الأندلس كان لليهود الدور الكبير في ترجمة التراث العربي الإسلامي الى اللغة الإسبانية وخصوصا في مدينة طليطلة . (٣)

وأما البرتغاليون فقد أجهدوا أنفسهم في التعرف على علوم العرب الملاحية قبل أن يقدموا على مغامراتهم في الشاطئ الأفريقي. واستعانوا في هذا الشأن باليهود كجواسيس وتراجم ، بعد أن طردتهم أسبانيا عام ١٤٩٢م / ٨٩٨هـ ، فالتجأوا الى البرتغال آخذين معهم علوم العرب

(١) سليمان المهرى ، شرح تحفة الفحول ، ج ٣ ، ص ١٢١ .

(٢) هونكة ، نفس المرجع ، ص ١٢٦ .

(٣) هونكة ، نفس المرجع ، ص ٥٣٢ .

الملاحية وخرائطهم وجداولهم الفلكية ، وكانوا قد ترجموها إلى
العبرية واحتفظوا لأنفسهم بأسرارها . وكان لهذه العلوم الإسلامية
أكبر الأثر في تقدم البرتغاليين في مجال الرحلات الكشفية. (١)

ولم يقتصر دور اليهود على النقل والترجمة ، وإنما استخدمتهم
البرتغاليون كجواسيس لهم في المشرق ، لتزويدهم بأحدث المعلومات
البحرية في الملاحة والفلك ، نظراً لتقائهم اللغة العربية ، ففي سنة
٨٩٤هـ / ١٤٨٨م على سبيل المثال ، أى قبل رحلة فاسكودى جاما بعشر
سنوات - قام جواسيس اليهود برحلة إلى مصر ، ومن هؤلاء الفونسو
دى بايفا ، وبيرودى كوفيلهام ، وكان الغرض من رحلتهم ، هو جمع
المعلومات فيما يتصل بتجارة التوابل والبحث عن ملكة برسترجون. (٢) وقد
واصل الجواسيس اليهود سفرهم إلى عدن ثم الهند للحصول على معلومات
وخرائط عن المحيط الهندي . وفى أثناء عودتهم إلى البرتغال التقوا
في القاهرة ببعثة يهودية أخرى ، فانضمت البعثتان إلى بعضهما ،
وواصل اليهود السفر إلى هرمز وشرق افريقية والحبشة ، ثم عاد بعضهم

(١) أنور عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٤٢ - ٤٤ ، جلال مظهر
نفس المرجع ، ص ٤٦ .

(٢) لوريمر ، دليل الخليج ، ج ١ ، ص ١٠ - ١١ ، عبدالعزيز الشناوى ، نفس
المرجع ، ص ١٢٠ ، محمد البحراوى ، نفس المرجع ، ص ٥٧ - ٥٨ ،

Tamrat. op. cit. p.p. 179- 180 .

الى مصر ، فالبرتغال حاملين معهم خارطات عربية ومعلومات تفصيلية
عن المحيط الهندي .^(١)

وقد تعلم البرتغاليون استخدام آلات الملاحة من العرب ، وخاصة
البوصلة البحرية والاسطرلاب . أما بالنسبة للبوصلة فرغم أن أكثر
المؤرخين يتفقون على أن الصينيين هم أول من تعرف على خواص الابرة
المغناطيسية ، وأنها تشير دوما الى الشمال ، فانهم يجمعون على
أن أول من استخدمها عطيا في البحار وفي الاستدلال على القبلة هم
المسلمون .^(٢) ومن واقع تجاربهم العطية أثناء رحلاتهم الكثيرة ، أضاف
المسلمون الى الابرة المغناطيسية ما يعرف باسم " وردة الرياح "
لمعرفة اتجاه الرياح ، ومصدر هبوبها عند معرفة جهة واحدة من
الجهات الاصلية . وانتقل هذا الاختراع الفريد الى أوروبا ، عن طريق
التبادل التجاري في البحر المتوسط ، بواسطة البنادقة والجنوبيين
ابان الحروب الصليبية ، وأيضا عن طريق الأندلس .^(٣)

(١) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٠-١١ ؛ عبد العزيز الشناوى ، نفس
الرجع ، ص ١٢٠ .

(٢) Milles. op. cit. p. 369 ؛

هونكه ، نفس المرجع ، ص ٤٧-٤٨ ؛ أنور عبد العليم ، نفس المرجع
ص ٣٤-٣٥ ؛ جاك ريسلر ، الحضارة العربية ، ص ١٩١ .

(٣) هونكه ، نفس المرجع ، ص ٤٧-٤٨ ؛ أنور عبد العليم ، نفس المرجع

أما الاسطرلاب فهو آلة قياس ارتفاع الشمس والنجوم ، وعمل البحارة العرب والمسلمون على تطويره ، والفوا في استعماله الكتب الكثيرة .

وهناك أيضا آلات استخدمها المسلمون في الملاحة ، وأخذها عنهم البرتغاليون والأسبان ، منها ربع الدائرة (الكـواـدرنت Quadrant)^(١) . كما وضع المسلمون الخرائط والجداول الفلكية وخطوط العرض والأزياج .^(٢)

وبعد أن اجتاز البرتغاليون رأس الرجاء الصالح ، احتكوا بالخبرة العربية المتطورة ، والمتجددة ، في مجال البحار ، فقد

(١) عبد العزيز الشناوى ، نفس المرجع ، ص ١٢٣-١٢٤ ، أنسور

عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٣٣-٣٥ .

(٢) الازياج : مفرد ها زيچ وهو جدول يستدل به على حركة الكواكب

السيارة حول الشمس لتقوم مواقعها ، انظر طاشكبرى زادة ،

مفتاح السعد ، ص ٣٧٩ - ٣٨٠ ، انظر أيضا دائرة

معارف بطرس البستاني ، مادة الزيج .

استعانوا بالمرشدين والملاحين العرب لارشادهم الى طريق الهند .
 ورغم أن البوصلة والاسطرلاب ، قد وصلا الى البرتغاليين عن طريق
 المسلمين ، الا أنهم لم يعلموا بما طرأ على تلك الآلات من تجديدات
 مستمرة ، والدليل على ذلك الدهشة العظيمة التي أصابت فاسكو
 دى جاما ، عندما رأى الآلات التي يستخدمها أحمد بن ماجد على
 سفينه . (١)

٥٥

(٣) جهود بارثليمود باز وفاسكو دى جاما في كشف

طريق الرجاء الصالح

٥٥

ويرجع الفضل في كشف طريق رأس الرجاء الصالح ووصول
 البرتغاليين الى الهند والخليج العربي الى جهود كلا

(١) قدرى قلمجي ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٣٥٣ .

بارثليميو دياز ، وفاسكودي جاما .

فقد ارتبط اسم بارثليميو دياز Barthelemy Diaz
بكشف طريق رأس الرجاء الصالح . وجاءت رحلته المشهورة متوجسة
لجهود سنين عديدة في محاولات ارتياد الشاطئ الغربي لافريقية .
ففي عام ١٤٦٢هـ / ١٤٦٢ م - بعد وفاة هنري - الملاح - وصل الرحالة
البرتغاليون الى خليج غانة ، كما أنهم وصلوا في عام ١٤٨٠هـ / ١٤٧٥ م
الى رأس كاترين Cape Catherine على خط عرض ٢° جنوبا .
وقد سبقت رحلة دياز رحلتان تمهيديتان قام بهما ديجو كام
Diego Cam الذي وصل الى مصب الكونغو عند رأس سانت
ماري St, Mary ، ثم واصل تقدمه حتى رأس مونت نيجرو
(١) Monte negro ، ثم رأس كروس Cape Cross

وقد تمت رحلة بارثليميو دياز في عهد ملك البرتغال " جون
الثاني " (١٤٨١ م - ١٤٩٥ م) الذي كان مطهفا لعقد تحالف
مع برستر جون (٢) .

(١) يسرى الجوهري ، نفس المجمع ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) لوريمر ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٠ - ١١ .

رحل دياز من لشبونة سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٧ م ، وسار بمحاذاة الشاطئ الغربي لإفريقية ، فوصل الى خليج والفيش Walfish ونظرا لقوة التيارات البحرية التي تدور حول افريقية ، عمل دياز على تفاديها بالاتجاه الى الجنوب ، حتى وصل الى نطاق الرياح الغربية ثم اتجه شرقا ، فشمالا ، الى خليج موسل Mosel Bey (١) . وهناك لاحظ دياز أن الساحل الافريقي قد أصبح على الجانب الأيسر من سفينة ، فأدرك أنه عبر جنوب افريقية ، وأنه يسير بمحاذاة الساحل الشرقي لإفريقية . (٢)

ولم يستطع دياز المضي في رحلته لأنه واجه تمرداً خطيراً من بحارته ، فقطع الرحلة وعاد الى لشبونة ، فوصلها عام ٨٩٤هـ / ١٤٨٨ م مارا بمنطقة الكاب (الرأس) ، بعد أن أطلق عليه اسم رأس العواصف Cabo Tormentoso ثم سمي بعد ذلك تفاؤلا باسم رأس الرجاء الصالح (٣) Cabo da Boa Esperanca

-
- (١) يسري الجوهري ، نفس المرجع ، ص ١٣١ .
 (٢) عبد العزيز الشناوي ، نفس المرجع ، ص ١٢١ .
 (٣) السيد رجب حراز ، عصر النهضة ، ص ٣١٦ ، شيني ، نفس المرجع ، ص ١٧٧ ، يسري الجوهري ، نفس المرجع ، ص ١٣١-١٣٢ .

وبعد مضي عشر سنوات ، جاء دور فاسكودي جاما Vasco de Gama ليتم ما بدأه بارثلميو دياز في اجتياز " رأس الرجاء الصالح " ، والوصول الى شرق افريقية والهند . وقد تمت رحلته في عهد ملك البرتغال مانويل الثاني Manual II (١)
٠ (١٤٩٥ م - ١٥٢١ م)

بدأ دي جاما رحلته من لشبونة في عام ٩٠٣ هـ (٨ يوليو ١٤٩٧ م) مع أربع سفن تضم مابين ثمانية عشر ومائة الى خمسين ومائة بحارا . وزودت هذه السفن بالأجهزة الخاصة بالملاحة كما زودت بالخراطط اللازمة والكتب (٢) . ووصل فاسكودي جاما الى جزر الرأس الأخضر Cape Verde وهناك مكث أسبوعا للتزود بالمؤن . وفي ٨ أغسطس أبحر دي جاما متجها الى الجنوب الغربي . وفي ٤ نوفمبر رأى مع بحارته اليابسة ، ورسوا عند خليج أطلقوا عليه اسم خليج القديسة هيلينا St, Helena Bey حيث قضاوا ثمانية أيام . ثم أبحروا مرة أخرى ، وعبروا رأس الرجاء

(١) انور عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٤٦ .

(٢) يسري الجوهرى ، نفس المرجع ، ص ١٣٢ ، انور عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٤٧ ، شيني ، نفس المرجع ، ص ١٧٧ .

الضالـح . وفي يناير ١٤٩٨ م فقد دي جاما احدى سفنه شمال
 النـاتـال Natal نتيجة المـواصـف الشـديـدة . ثم واصل المـلاحة
 شمالا حتي شـغر سـفـالـة وقـرب نـهر كـيـمـانـسـسـي Kilimani
 رسوا لمدة شهر كامل للتموين واصلاح السفن .^(١)

ثم أبحر فاسكو دي جاما مرة أخرى لمدة خمسة أيام فوصل إلى
 موزامبيق ، ورحب بهم ملكها في بادئ الأمر ظانا بأنهم أتراك
 أو مغاربة . فلما عرف أخيرا بأنهم مسيحيين وغرباء على الشاطئ
 الأفريقي أوقف التعامل معهم ، وبدأ الشك يساوره من ناحيتهم . وحدث
 بعض المناوشات بين سكان المدينة والبرتغاليين ، فقصف البرتغاليون
 المدينة ، ودمروا قسما منها ، مما خلف لدى سكان الساحل
 انطباعا مبكرا عن وحشية القادمين . ثم استخدم البرتغاليون مرشدين
 لهم بعد أن دفعوا لكل منهما ثلاثين مثقالا من الذهب .^(٢)

Bell, Portugal and the Quest. p.p.203-206; (١)

يسرى الجوهرى ، نفس المرجع ، ص ١٣٢-١٣٣ ؛ أنور عبد العليم ،
 نفس المرجع ، ص ٤٧ .

Serjeant, op.cit. p.p.13- 14; Bell, op.cit.p.p. (٢)
 207-209 ; Macgregor, op. cit.p. 594.

وفي ١٠ مارس ١٤٩٨م أبحر البرتغاليون بقيادة فاسكودي جاما وبعد جهد شاق ومقاومة للعواصف التي كانت أن تحطم السفن ، وصلوا اليها في السابع من ابريل ، ولكنهم لم يجدوا ترحيبا من الحاكم والأهالي ، فأبحروا فورا الى ماليندى فوصلها دي جاما حذرا ، من تكرار ما حدث في موزامبيق ومومباسا .

ولما لمس دي جاما الترحيب البالغ من سلطانها شرح له حاجته الى دليل في المرحلة الأخيرة من رحلته الى الهند ، فوافقه على ذلك ، ولكنه تأخر في ارسال هذا الدليل ، فانتهز دي جاما فرصة ارسال السلطان مبعوثه اليه ، فاحتجزه وأرسل يساوم السلطان على أنه سيقبلي الرسول رهينة لديه حتى يصل الدليل . وفعلًا أرسل اليه البحار والعالم الفلكي أحمد بن ماجد .^(١)

وابن ماجد هو شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو ابن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن الحسين بن أبي معلق

(١) Bell, op. cit. p.p. 209 -212; Serjeant, op. cit. p.p. 13- 14;

السعدي بن أبي الركائب النجدي ، ولد في " جلفار " من الخليج العربي (وهي رأس الخيمة اليوم) .^(١)

لقب بـ " بأسد البحر " و " رئيس علم البحر " و " رابع الليوث " .^(٢)
ولم تطلق عليه هذه الألقاب عبثاً ، فهو لم يكن مجرد بحار فقط أو دليل أو مرشد ، بل هو عالم في الفلك وعلوم البحار . مارس مهنته أكثر من نصف قرن على أساس علمي . وكان المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر ميدان نشاطه الكبير . فقد جاب الهند والسيام والزنج وفارس والسند والحجاز واليمن وهرمز .^(٣)

وقصة ارشاد ابن ماجد لفاسكودي جاما قصة فريدة ، تدل أكثر

(١) قدرى قلعجي ، نفس المرجع ، ص ٣٥٣ ، دائرة المعارف الإسلامية مادة شهاب الدين .

(٢) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ١٠ ، ثلاث أزهار ، الدراسة التاريخية للمحقق شوموفسكي ، ص ٨٩ .

(٣) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ٣ ، ثلاث أزهار ، الدراسة التاريخية للمحقق ، ص ٨٩ .

ما تدل على قلة الخبرة الأوروبية في مجال علم البحر والفلك فـ في القرن العاشر الهجري ، كما تدل على عظم قدر المسلمين في علوم البحار ، رغم التفكك السياسي وقتذاك .

وتتفق المصادر التاريخية على أن فاسكودى جاما بعد أن عبر رأس الرجاء الصالح ، ألقى مراسيه في ماليندي على الشاطئ الشرقي لأفريقية . وهناك بحث عن دليل ليرشده الى الهند ، لعدم معرفته بنظام هبوب الرياح الموسمية ، في شرق أفريقية والمحيط الهندي . وقد أدى ذلك الى تحطيم بعض سفنه ، وفي ذلك يقول ابن ماجد في ارجوزته السفالية :^(١)

زلوا بها الأفرنج غلق الموسم	في عيد ميكال بالتوهم
قام عليهم موج تلك العروس	في سفالة بقي معكوس
وانقلبت أذفالهم في الماء	السفن فوق الماياخائي
غرقى يرون بعضهم بعض	وكن عارفا موسم تلك الارض ^(٢)

(١) ابن ماجد ، ثلاث أزهار ، ص ٤٠

(٢) يقصد بتلك الارض : سفالة في ساحل شرق افريقية .

وقد عرف الكتاب البرتغاليون في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، ابن ماجد باسم " ماليا كاناكوا " أو " مالموكانسا " وهو التحريف للقبه العربي الذي يعني " المعلم الفلكي " . (١)

وقد عرض فاسكودي جاما على ابن ماجد آلاته البحرية المستخدمة عند البرتغاليين ، ولكن ابن ماجد لم يدهش لها ، بل عرض عليه الآلات البحرية التي طورها العرب ، منها آلات مثلية ومربعية الشكل لقياس ارتفاع الشمس ، وخصوصا النجم القطبي . كما أراه خرائط تفصيلية للمحيط الهندي وشرق أفريقيا والجزيرة العربية قائمة على خطوط طول وخطوط عرض متوازية ، وهو شيء لم يعرفه الأوروبيون آنذاك . كل هذا أدهش فاسكودي جاما ، وازداد إعجابه بمشده الملاحي ، فقرر الرحيل معه فوراً . (٢)

وفي ٢٤ ابريل ١٤٩٨ م ، أبحروا الى الهند ، وبعد ثلاثة وعشرين يوماً ، وفي ١٨ مايو وصلوا كاليكوت على الساحل الغربي للهند .

(١) Bell. op. cit. p.p. 215- 216 .

(٢) انور عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٥٢-٥٤ ، عبد العزيز الشناوي

نفس المرجع ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

Bell. op. cit. p.p. 216- 217.

هذه باختصار قصة ابن ماجد مع فاسكودي جاما ، أما الأثر الذي تركته هذه الحادثة ، والنتائج التي ترتبت على هذا الارشاد ، فهو مالم يكن في حسابان ابن ماجد حيث اتهمه المؤرخون المسلمون ، بعدة اتهامات بعد أن ظهرت نوايا البرتغال الحقيقية في الشرق والمصائب التي وقعت على المسلمين بسببهم .

يقول المؤرخ المسلم المعاصر قطب الدين النهروالي في كتابه " البرق اليماني " : " فلا زالوا يتوصلون الى معرفة هذا البحر الى أن دلهم شخص ماهر يقال له أحمد بن ماجد صاحبه كبير الفرنج وكان يقال له (الاسلندي) وعاشه في السكر ، فعلمه الطريق في حال سكره ، وقال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ثم عودوا فلا تتالكم الأمواج ، فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم فكثروا في بحر الهند " . (١)

غير أن ما ذكره النهروالي عن شخصية ابن ماجد يجب أن يؤخذ بكثير من الحذر ، فيبدو أن ابن ماجد كان رجلا متدينا ، خاصة وأنه رجل عاصر المخاطر والمهالك في البحر ، فلا بد أن قلبه كان دائما مع الله عز وجل . ونلمس في كتاباته روح التدين العميق مثل قوله :

(١) النهروالي ، البرق اليماني ، ص ١٨ - ١٩ .

" وينبغي للمعلم ^(١) أن يكون عدلا ، تقيا ، لا يظلم أحدا ،
مقيما على طاعة الله ، متقيا الله حق اتقائه تعالى " . ^(٢)

يضاف الى ذلك أنه من المستبعد أن يصدق فاسكو دي جاما
كلام رجل عاقره الخمر وهو مقدم على شيء مجهول بالنسبة له يخاف
مخاطره ، بل الأصوب أن يأخذ بكلام رجل عالم ذكي يثق بنفسه ،
وقد وثق به فاسكو دي جاما .

والأرجح أن يكون ابن ماجد قد رضي أن يرشد أسطول دي جاما
الى الهند ، بعد أن كلفه بذلك ملك ماليندي ، واعتبر ابن ماجد ذلك
تكريما له . ^(٣) كما أن التفكك السياسي الذي أصاب المسلمين في ذلك
الوقت ساعد البرتغاليين كثيرا في تنفيذ أهدافهم ، ولا يمكن أن نلقي
اللوم على شخص واحد هو ابن ماجد .

(١) يقصد بالمعلم ربان السفينة أو قائدها .

(٢) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٣) انور عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٥٢ - ٥٣ .

وكيفما كان الأمر ، فقد بقي فاسكودي جاما ثلاثة أشهر في كاليكوت تبادل فيها المحادثات والهدايا مع حاكم الثغر ، وأظهر له النوايا الحسنة ، والرغبة في التجارة فقط .^(١)

ويذكر زين الدين في تحفة المجاهدين ، خبر رحلة فاسكو دى جاما الأولى فيقول : " ان ابتداء وصولهم الى مليبار كانت سنة أربع وتسعمائة من الهجرة النبوية ، وصلوا الى فندرينه في ثلاث مسارات بعد أنقطاع موسم الهند ، ثم خرجوا منها الى بندر كاليكوت في طريق البر ، وأقاموا فيها شهرا يتعرفون أخبار مليبار وأحوالهم ، ولم يشتغلوا بالتجارة ، بل رجعوا الى بلدهم برتغال ."^(٢)

وفي أغسطس عام ١٤٩٨ م رحل دى جاما الى البرتغال ، فوصلها في سبتمبر سنة ١٤٩٩ م واستقبلته لشبونة استقبال الفاتحين المظفرين .

أما عن رحلة فاسكودي جاما الثانية فقد تمت في عام ١٥٠٨ هـ / ١٥٠٢ م وفي هذه الرحلة أخذ فاسكودي جاما في تطبيق الأهداف الصليبية عاليا ، فقد تلقى أمرا صريحا من حكومته ، بأن يقوم باغلاق مدخل البحر

(١) عبد العزيز الشناوي ، نفس المرجع ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ، بانيكار ،

نفس المرجع ، ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٣٦ - ٣٧ .

الأحمر الجنوبي ، ومنع أية سفينة من دخول ذلك البحر أو الخروج منه . (١)

وقبل قدومه الى الشرق في رحلته الثانية ، كانت البعثات البرتغالية قد سبقته في اقامة أول المحطات والمراكز في طريق الهند . فبعد سنة واحدة من عودة دى جاما من الهند من رحلته الأولى ، أرسلت بعثة سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م ، بقيادة ديوجو دياز Diego Diaz وبعد عبور البرتغاليين رأس الرجاء الصالح ووصولهم الى شرق أفريقيا احتلوا جزيرة مدغشقر ، واستولوا على كثير من مدن ساحل شرق أفريقيا ، وفرضوا سيطرتهم عليه مثل موزمبيق وسفاله ، مستخدمين البنادق والمدافع مما سهل مهمتهم كثيرا . (٢)

وفي أواخر نفس السنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م ، أمر ملك البرتغال مانويل بتجهيز حملة أكبر وأقوى هدفها انشاء مركز تجارى على ساحل الهند .

(١) Soud, op. cit. Vol.(1).p.p.63-64;

نعم زكي فهمي ، نفس المرجع ، ص ١٤٤-١٤٥ ، شارل ديل ، نفس المرجع ، ص ١٤٨-١٤٩ .
(٢) أنور عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٥٥ .

وكانت الحملة بقيادة الفاريز كابرال Alvarez Cabral وتألفت من ثلاث وثلاثين سفينة وألف وخمسمائة رجل ^(١) . وحدث أن تحطمت معظم السفن ، عند اجتياز رأس الرجاء الصالح ، ولم تصل إلى كاليكوت سوى ست سفن فقط ^(٢) . وهناك تفاوض البرتغاليون مع الزامورين Zamorin ملك كاليكوت حول التجارة ، ولكنهم حاولوا منسـع المسلمين من ممارسة التجارة ، بأن تعدوا عليهم ما شكك الزامورين في نواياهم ، فأمر بقتالهم ، وقتل منهم نحو سبعين أو ستين رجلاً ، فـضرب كابرال كاليكوت بالمدافع ^(٣) . ولما رأى كابرال قوة أعدائه رحل إلى لشبونة عائداً بفكرة وهي ضرورة الحصول على ثروات الهند الضخمة بالقوة الهائلة ، أو التخلي عن المحفولة ^(٤) . وتبعت حملة كابرال حملة أخرى بقيادة جون دانوفا John da Nova عام

(١) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٣٨ - ٣٩ ؛

Macgregor, op. cit. p. 595.

(٢) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٣٦-٣٧ ؛ بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٣٨ - ٣٩ ؛ انور عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٥٦ .

(٣) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٣٦ ، ٣٧ ؛ انور عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٥٦ ؛ Macgregor, op. cit. p. 595.

(٤) Sousa. op. cit. Vol.(1). p.p. 63- 64.

٩٠٧هـ/١٥٠١م لنفس الغرض . (١)

وأخيرا قرر ملك البرتغال ارسال حملة أكبر وأقوى بقيادة فاسكو دي جاما ، مكونة من عشرين سفينة ، وقد سلمه علم القيادة فـي احتفال كبير في الكنيسة الكاتدرائية بعد أن منحه لقب " أميرال البحار الشرقية " (٢) . وغادر فاسكو دي جاما لشبونة في ٩٠٧هـ (مارس ١٥٠١م) ، وعندما وصل الى " كلوة في شرق أفريقية قصفها بمدافعها ونيرانه بكل شراسة وعنف ، مدمرا جزءا كبيرا منها حتى أخضعها وأرغم سكانها على دفع الضريبة لملك البرتغال ، ثم غادرها الى ماليندي وهناك عامل السفن الآتية من كاليكوت بكل قسوة ، واستولى على كثير من سفن المسلمين التي كانت ترسو في ماليندي . (٣)

وأخيرا وصل دي جاما الى ساحل طييار ، وهناك مارس القرصنة ،

(١) Sousa, op. cit. Vol.(1).p.p.60 -61 ;

أنور عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٥٦ .

(٢) Sousa, op. cit. Vol.(1).p.p.63-64;

بانيكار ، نفس المرجع ص ٣٩ -٤٠ .

(٣) Sousa, op. cit. Vol.(1).p.p.64-65 .

والأرهاب البشع ، وعامل المسلمين بالذات معاملة وحشية ، ولم يسلم منه حتى النعفاء والعزل ^(١) ، فكان يقطع الطريق ويستولي على السفن دون تمييز . وقد دون بعض مؤرخي المسلمين في حوادث سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م ، ما ارتكبه فاسكودي جاما في حق الاسلام والمسلمين ^(٢).

وذكر سوزا Sousa وغيره أن فاسكودي جاما وجد أمام ساحل مليبار ، سفينة للحجاج قاصدة مكة المكرمة . وكانت السفينة تابعة للسلطان المملوكي قانصوة الغوري فاستولى عليها ، ونقل بضائعها إلى سفنه ، ثم أحرقها بمن عليها . وبعد محاولة يائسة من ركاب السفينة للدفاع عن أنفسهم استقرت السفينة في قاع البحر ^(٣).

(١) باننيكار ، نفس المرجع ، ص ٤٠ - ٤١ ، أنور عبد العليم ، نفس المرجع ص ٥٦ .

(٢) الشيلي ، السنا الباهر ، ورقة ٦٧ ، يحيى اليماني ، أنباء أبناء الزمن ، ورقة ١١٢ ، ابن الديبع ، قرّة العيون ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٣) Sousa. op. cit. Vol.(1).p.p. 65-66;

باننيكار ، نفس المرجع ، ص ٤٠ - ٤١ ، أحمد دراج ، الماليسك والفرنج ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

وقد مرّ فاسكودي جاما على كنانور - شمل كاليكوت - لحمل المتاجر ،
ثم توجه الى كاليكوت وأرسل رسائل التهديد الى ملكها الزامورين —
Zamorin . وأخيرا وقعت الحرب بين المسلمين يساعد هم
الزامورين ، والبرتغاليين . ورغم الاسلحة البرتغالية القوية ، فقد
استطاعت سفن المسلمين محاصرة أسطول دى جاما الذى خشي العاقبة
فأبحر الى كنانور ، ثم الى كوتشين - جنوب كاليكوت - وعقد صلحا
مع ملكها ، وأخيرا غادرها الى البرتغال آخذا معه تسع سفن تحمل
ملا يقل عن خمسة آلاف قنطار من البهار .^(١)



Sousa, op. cit. Vol. (1).p.p.65-69;

(١)

بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٤١ - ٤٢ ، أحمد دراج ، نفس
المرجع ، ص ١٣٢ .

(٤) نتائج كشف طريق رأس الرجاء الصالح

٥٥

ويمكن اجمال نتائج كشف طريق رأس الرجاء الصالح في النقاط الثلاث الآتية وهى : تحقيق الأهداف الصليبية ، وتحول طريق التجارة العالمية من البحر الأحمر والخليج العربي الى رأس الرجاء الصالح ، وانهيار تجارة الممالك والبنا دقه .

أما عن تحقيق الأهداف الصليبية ، فلا شك أن عبور بارثميود ياز رأس الرجاء الصالح ، ووصول فاسكودى جاما الى الهند ، قد أعطى البرتغاليين الفرصة الكبرى ، لتحقيق أهدافهم الصليبية وان لم تكن جميعها .

لقد أرادوا القضاء على الاسلام في كل مكان ، مثلما قضاوا على المسلمين في الأندلس وأعادوها نصرانية متعصبة تغلى حقدا على المسلمين ، فساروا على نفس النهج في قتل وتعذيب المسلمين ، وهدم المساجد وتدمير المدن الاسلامية ، وحرق السفن بمن عليها في عرض البحر . وخص البرتغاليون المسلمين فقط بهذه المعاملة الوحشية . أما غير المسلمين من الهنود والصينيين وغيرهم ، فقد عاملوهم معاملة حسنة ولم يتعرضوا لهم بسوء .^(١) وذكر هذه الحقيقة زين الدين في كتابه

(١) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٥٢ .

(١) وقرر أن عداوتهم كانت للمسلمين فقط دون غيرهم .

وأصبحت السفن الاسلامية لا تبحر الا بتصريح برتغالي ، يصدره ملك البرتغال . وكان البرتغاليون في بداية الأمر يراعون هذا التصريح فلا يتعرضون للسفن التي تحمله ، ثم تطور الأمر وأصبحت المراكب البرتغالية تمارس أعمال القرصنة في البحار ، ولم يعد التصريح الا اجراء شكلياً . فما أن تخرج السفن الاسلامية الى عرض البحر حتى يهاجمونها سواء كان لديها تصريح أم لا ، فيسلونها ويفرقون من فيها .^(٢)

وهزت هذه الحوادث شاعر المسلمين في كل مكان ، فدونها مؤرخو المسلمين في القرن العاشر الهجري ، فعلى سبيل المثال ذكر القاضي زين الدين أفعالهم في الهند من تعطيل أسفار المسلمين وخصوصاً للحج ، والاستيلاء على سفنهم ونهب أموالهم واحراق مدنهم ومساجدهم ، ووطئ المصاحف بأقدامهم ، واحراقها ، وهتك حرمة المساجد ، وتحريضهم على قبول قول الردة والسجود لصليهم ، وسب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم جهاراً ، واجبار المسلمين والمسلمات على التنصير .^(٣)

(١) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤٦ .

(٢) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٦٨-٦٩ ؛
Serjeant, op. cit. p. 18.

(٣) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤٤-٤٦ ؛ احمد الساداثي ، تاريخ المسلمين في الهند ، ج ٢ ، ص ١٩١-١٩٢

وذكر ابن ماجد نفس المعنى فيقول في أرجوزته :

وسار فيها مفضى الاسلام والناس في خوف واهتمام^(١)

وقال قطب الدين النهروالي : " وصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً ، ويأخذون كل سفينة غصباً الى أن كثر ضررهم على المسلمين . " ^(٢) وذكر ابن اياس في حوادث سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م بأن عدد السفن الافرنجية ، التي تهاجم سفن المسلمين على شواطئ الهند بلغت خمسين سفينة . ^(٣)

حقا لقد نظروا الى المسلمين نظرة مهينة ، ولم يكتفوا بالحياة الانسانية لغير المسيحيين . ^(٤) ورغم هذه الوسائل الوحشية التي اتبعها البرتغاليون ضد المسلمين لتحويلهم عن الاسلام ، فان المقاومة الاسلامية اشتدت يوما بعد يوم ، فتصدى سلاطين المسلمين في جوجيرات (كوجرات) والديو للبرتغاليين عسكرياً ، كما راح الدعاة المسلمون يواجهون

(١) أحمد بن ماجد ، ثلاث أزهار ، ص ٤٣

(٢) النهروالي ، البرق اليماني ، ص ١٨ - ١٩ .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٨٥ .

(٤) Serjeant, op. cit. p.p. 30-31. (٤)

حركسة التبشير ، واجبار المسلمين على التنصير بالعمل على نشر الدعوة الاسلامية .^(١)

وحاول البرتغاليون كثيرا اختراق البحر الأحمر والوصول الى الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز . وتنبه سلاطين الممالك في مصر لخطورة الأمر ، وأحبطوا هذه المحاولات الصليبية . ثم جاءت الدولة العثمانية لتكمل المهمة ، وتحكم سيطرتها على البحر الأحمر نهائياً ، وتجعله - كما كان - بحراً إسلامياً خالصاً .

أما عن تحول التجارة العالمية من البحر الأحمر والخليج العربي الى رأس الرجاء الصالح ، فقد كانت السفن التجارية تسلك طريق البحر الأحمر والخليج العربي الى موانئ الشام ومصر على البحر المتوسط حيث ينقلها التجار البنادقة على سفنهم الى أوروبا . ولكن ما أن اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح ، حتى أخذوا جادين في تحويل الطرق التجارية عن المنفذ القديم لها في الخليج العربي والبحر الأحمر الى طريقهم الجديد .^(٢)

(١) توماس ارنولد ، الدعوة الى الإسلام ، ص ٢٩٨ .

Shaw, op. cit. p. 83.

(٢)

وبدأ البرتغاليون أولاً في توطيد مركزهم على الساحل الهندي ،
 فنرى فاسكودي جاما منذ وصوله في أول رحلة له ، حصل على إذن بالتجارة
 من الزامورين حاكم كاليكوت ، وفي رحلته الثانية ، حاول القضاء على
 نفوذ التجار المسلمين في الشاطئ الهندي ، ومنعهم من ممارسة
 التجارة عن طريق القوة ، ورغم المعارضة التي وجهها البرتغاليون
 من المسلمين والزامورين في الهند ، إلا أنهم وصلوا جهودهم
 بأن صالحوا أهل كوتششين وكنانور ، وأصبحوا يتاجرون من هاتين
 المدينتين في بادئ الأمر . (١)

وجاءت بعد ذلك الخطوة الثانية لتحويل طريق التجارة بمهاجمة
 السفن الإسلامية عند مدخل البحر الأحمر والخليج العربي ، والاستيلاء
 عليها .

ويذكر ابن الديبع في حوادث سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م مثالا لأفعالهم
 فيقول : " وفي هذه السنة ظهرت مراكب الافرنج في البحر بطريق
 الهند وهرمز وتلك النواحي ، وأخذوا سبعة مراكب وقتلوا أهلها " (٢)

(١) انظر ما سبق ص ٨٩ - ٩٢

(٢) ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٢٠٦

وفي سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٢ م هاجم البرتغاليون جزيرة سوقطرة ، وأنشأوا حصنا للإشراف على تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي في محاولة للقضاء على نفوذ سلاطين الماليك . وفي نفس السنة أيضا ، هاجموا هرمز مفتاح الخليج العربي واحتلوها .^(١)

ولما تبين للبرتغاليين أن سوقطرة لا تمثل مفتاح البحر الأحمر فكروا في احتلال عدن ، المدخل الحقيقي له .^(٢) ففي عام ٩١٩ هـ / ١٥٣٣ م قدم البرتغاليون الي عدن في ثمانية عشر مركبا بقيادة البوكيرك ، وحاولوا اقتحامها عدة مرات . ولكن نظرا لحصانة موقعها الطبيعي والكفاح المستميت لأهل المدينة ، وحاكمها مرجان الظافري ، فشل البرتغاليون في اقتحام عدن واكتفوا بحرق المراكب الموجودة في الميناء . ثم ساروا الى المخا في الشمال ثم الحديد فوجدوا نفس المقاومة من جانب العرب المسلمين ، فارتدوا عنها ، ثم نزلوا في جزيرة كمران

(١) ابن المطهر ، روح الروح ، ورقة ٧ ، ابن الديبع ، قرة العيسون ، ص ٢١١ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٨ ، ص ٦٠ ،

سيديو ، نفس المرجع ، ص ٤٣٢ .

(٢) Cook (editor). A history of the Ottoman Empire, (٢) p.p. 89-90; Serjeant.op. cit.p. 19.

واحتلوها . وتهيأوا لاعادة الكرة مرة أخرى على عدن ، ولكنهم هزموا مرة أخرى ، فرحلوا الى الهند .^(١) ولم تتوقف المحاولات البرتغالية لاحتلال عدن حتى سقوط دولة المماليك في أيدي العثمانيين .

ولكي يتم تحويل الطريق التجارى تماما الى رأس الرجاء الصالح ، سيطر البرتغاليون على سفالة وموزمبيق . ففي نفس السنة (٩١٩هـ / ١٥١٣ م) هاجم البرتغاليون زيلع وبربرة ، واستخدموا هذه المحطات للاستيلاء على سفن العرب القادمة من البحر الأحمر وتحطيمها^(٢) كما استعملت هذه المراكز التجارية لامداد غزواتهم في بلاد العرب ، وفرض الرقابة على السفن المارة^(٣) ، ذلك لكي يضمنوا لأنفسهم السيادة على اسواق التوابل .

أما النتيجة الثالثة من نتائج كشف طريق رأس الرجاء الصالح ، فهي انهيار تجارة البنادق والمماليك . فبعد أن نجح البرتغاليون في اغلاق البحر الأحمر والخليج العربي في وجه تجارة الهند ، في بداية القرن العاشر وتعرض البرتغاليين لسفن المسلمين في المحيط الهندي

(١) ابن المطهر ، روح الروح ، ورقة ٩ ، ابن الديبع ، قرة العيون ص

٢١٦-٢١٨ .

(٢) نعيم زكي فهمي ، نفس المرجع ، ص ١٢٢ .

(٣) محمد البحراوى ، نفس المرجع ، ص ٦٨ - ٦٩ .

انقطع المورد المالي لسلطنة الممالك ، وكذلك تدهور المركز المالي والتجاري لمدينة البندقية التي احتكرت نقل وتجارة السلع الشرقية الى أوروبا .

لقد انقلب الميزان التجاري ، فبعد أن كانت أسعار التوابل ، تصل في أوروبا الى ثلاثة أضعاف ثمنها الحقيقي ، نجد أنه بعد أن تحولت التجارة الى رأس الرجاء الصالح ، انخفضت أسعارها في لشبونة بشكل مذهل ، فقنطار الفلفل كان يباع في الاسكندرية بحوالي ثمانين بندقي أصبح يباع في لشبونة بعشرين بندقي تقريبا ^(١) ، كما انخفضت تكاليف النقل بنسبة ستين في المائة (٦٠ ٪) . ^(٢)

ولم يبق أمام البندقية سوى أن تختدربين أمريسن ، اما أن تبتاع ما تريد من التوابل من لشبونة ، أو أن تحاول ضرب نفوذ البرتغاليين في المحيط الهندي . وبالفعل اتخذت البندقية لها في بادئ الأمر طريق المقاومة من أجل استرداد سوق البهار ، فأوفدت سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م ، مبعوثها الى القاهرة بندتو سانودو : Banedetto Sanudo لتحذير السلطان المملوكي قانصوة الغوري

(١) شارل ديل ، نفس المرجع ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

Milles, op. cit. p. 140 .

(٢)

من عواقب سيطرة البرتغاليين على المحيط الهندي ، كما طلبت منه أن يخفض أثمان التوابل الباهظة في موانئ السلطنة المملوكية لكسي يساعدهم على الوقوف في وجوه خصومهم .^(١)

وتلت هذه السفارة سفارة أخرى سنة ٩١٠هـ / ١٥٠٤ م لنفس غرض السفارة الأولى . وكان جواب السلطان المملوكي لكلا السفارتين ، بأنه لا يستطيع أن يعمل شيئا اذا ترك وحيدا أمام البرتغاليين ، ويجب على البنادقة معاونته في تجهيز حملة ضد البرتغاليين في المحيط الهندي . ولكن البندقية تلقت تهديدا شديدا من الملك البرتغالي مانويل لمعاونتها أعداء المسيحية وأعداء البرتغال .^(٢)

وبعد هزيمة الماليك في معركة ديو سنة ٩١٥هـ / ١٥٠٩ م لم تجد البندقية أمامها سوى الاتجاه الى لشبونة كبقية دول أوروبا ، لتبتاع منها التوابل .^(٣)

(١) شارل ديل ، نفس المرجع ، ص ١٤٧-١٤٨ ؛ أحمد دراج ، الماليك والفرنج ، ص ١٣٣ .

(٢) أحمد دراج ، الماليك والفرنج ، ص ١٣٣ ؛ نعيم زكي ، نفس المرجع ، ص ٨٩-٩٠ .

(٣) شارل ديل ، نفس المرجع ، ص ١٥٢-١٥٣ .

أما من ناحية انهيار تجارة سلاطين الماليك ، فان من مظاهرها
انخفاض المتحصلات المالية المفروضة على متاجر الشرق ، وندرة السلع
المجلوبة من الهند ، وامتناع التجار البنادقة عن الوفود الى موانئ مصر
لعدم وصول المتاجر الهندية . (١)

ورغم هذه الكارثة ، لم يحاول سلاطين الماليك تخفيض الضرائب
الجمركية ، مما شكل اجحافا في حق التجار ، وظلما للرعية ، كما عاود
بالخراب على تجارة الدولة المملوكية . (٢)

وهكذا نرى أن البرتغاليين قد حرموا السلطنة المملوكية من مصدر
ثرائها الأول ، وأصبحت لشبونة هي وجهة التجار الأوربيين ، بعد
أن تحولوا عن البندقية التي لم تجد في موانئ مصر والشام المتاجر
والسلع اللازمة للقيام بتجارتها المعتادة .

وحاول الماليك تفادي هذا الخطر ، لكن محاولتهم جاءت متأخرة
نظرا لازدياد قوة البرتغاليين ، وتوطيد اقدامهم في الهند . ففي

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٩٠ ،
Serjeant, op. cit. p. 15.

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٩٠ .

سنة ٩١٤هـ / ١٥٠٨ م ، بعث السلطان الغوري حملة بحرية الى الهند ، مكونة من ثلاث عشرة سفينة وألف وخمسمائة رجل ، بقيادة حسين الكردي ^(١) ، ووصل حسين الكردي الى جزيرة " ديو " وهناك انضمت اليه سفن مالك اياس حاكم الجزيرة ، ثم توجهوا الى شول Chaul وهناك قابلوا اسطولا برتغاليا بقيادة لورنودى الميدا

Lourenco de Almeyda ابن نائب الملك فني

Francisco de Almeyda

الهند فرانسيسكو دى الميدا

واشتبك الأسطولان فحلت الهزيمة بالبرتغاليين ، وقتل القائد لورنودى ، ثم توجه الامير حسين ومالك اياس الى ديو مرة أخرى لاصلاح السفن. ^(٢)

وكن البرتغاليون بقيادة نونوفاز بيريرا :

Nunno vaz Pereira للأمير حسين الكردي بعدد

أن قرر نائب الملك الانتقام لابنه ، وهاجموه على حين غرة فى عام ٩١٥هـ (٣ فبراير ١٥٠٩ م) ، وأوقعوا به الهزيمة واستولوا على بعض

(١) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤٠ - ٤١ ،

Sousa, op. cit. Vol.(1).p.134,

بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٤٢

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٤٢ ، زين الدين ، تحفة المجاهدين

ص ٤٠ ، ٤١ ، Sousa, op. cit. Vol.(1).p.p. 137-138

سفنسه ، وأغرقوا أكثرها ، وقتل معظم عساكر الأمير حسين ، ولكنسه جرح وفرّ الى ملك كنبايه محمود شاه ، ثم عاد بعد ذلك الى مصر حيث عين نائبا على جدة . (١)

وفي سنة ٩١٩هـ / ١٥١٣ م هاجم البوكيرك عدن للاستيلاء عليها ، فاستولي على كمران . ووصلت أخباره الى السلطان الغوري ، الذي استجد به عامر بن عبد الوهاب حاكم اليمن ، وكذلك أمراء جوجيرات وكاليكوت ، فأخذ السلطان المملوكي في تجهيز حملة أخرى لتتوجسه الى الهند (٢) . وطلب السلطان المملوكي العون العسكري من البندقيّة ولكنها رفضت لكي لا تظهر أمام العالم المسيحي بمظهر الخيانة . فتوجه السلطان الغوري بطلبه الى السلطان العثماني بايزيد الثاني الذي أمدّه بالأسلحة والأخشاب اللازمة للأسطول ، لإنقاذ الأماكن الإسلامية المقدسة . (٣)

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٣٠٨ ؛ زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤٠ - ٤١ ؛
Sousa, op. cit. Vol.(1).p.p.147- 149.

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٨٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ؛ النهر والسي البرق اليمني ، ص ١٩ .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٠١ - ٢٠٣ ؛ نعيم زكي ، نفوس المرجع ، ص ٣٠ - ٣١ ، ٩١ - ٩٢ ؛ محمد البحراوى ، نفس المرجع ، ص ٤٧

وأخيرا تم بناء نحو عشرين سفينة في السويس ، وجعل هذا الأسطول تحت قيادة حسين الكردي ، والرئيس سلمان العثماني ^(١) . وتوجهت المراكب الى جدة ومن ثم الى اليمن سنة ٩٢١ هـ / ١٥١٥ م . وهناك قضى الأمير حسين على الدولة الطاهرية باليمن ، ولم يستطع تحقيق الغرض الرئيسي من الحملة ، وهو الذهاب الى الهند ومنازل البرتغاليين ، وان كان قد آمن مدخل البحر الأحمر ضد هم .

وفي سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ، عاد حسين الكردي الى جدة بعد أن ترك في اليمن نائبا عنه هو برسباى الجركسي . واستمر في جدة حتى سقطت الدولة المملوكية في أيدي العثمانيين سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م .

ولو عدنا الى السبب الرئيسي في سقوط سلطنة المماليك لوجدنا أن هيمنة البرتغاليين على التجارة لم تكن العامل الرئيسي الأول في تدهور السلطنة المملوكية وسقوطها في أيدي العثمانيين . فقد وصلت السلطنة المملوكية خلال الربع الأول من القرن العاشر الهجري الى حالة من الضعف والانهيار نتيجة عوامل كثيرة داخلية وخارجية .

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٤٥٨ ، زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤١ - ٤٢ .

فقد حاول الشاه اسماعيل الصفوى التحالف مع الافرنج - البنادقة والجنوبيين - ضد السلطان المملوكي ^(١) . ومدّ العثمانيون نفوذهم الى أراضي السلطنة المملوكية لمواجهة النفوذ الصفوى والوصول الى الحرمين الشريفين ، هذا بالإضافة الى ضعف القوى العسكرية في دولة المماليك حيث امتنع المماليك عن الأخذ بنظام الاسلحة المتطورة مثل البنادق والمدفعية والتشبث بالسيف والرمح مما أضرب قوة الدولة العسكرية ^(٢) .

أما من الناحية الداخلية فقد تدهور اقتصاد السلطنة المملوكية نتيجة سوء الأحوال الزراعية والتجارية واستحداث ضرائب جديدة أرهقت الناس ، بالإضافة الى ظلم وجور المماليك للرعية ^(٣) .

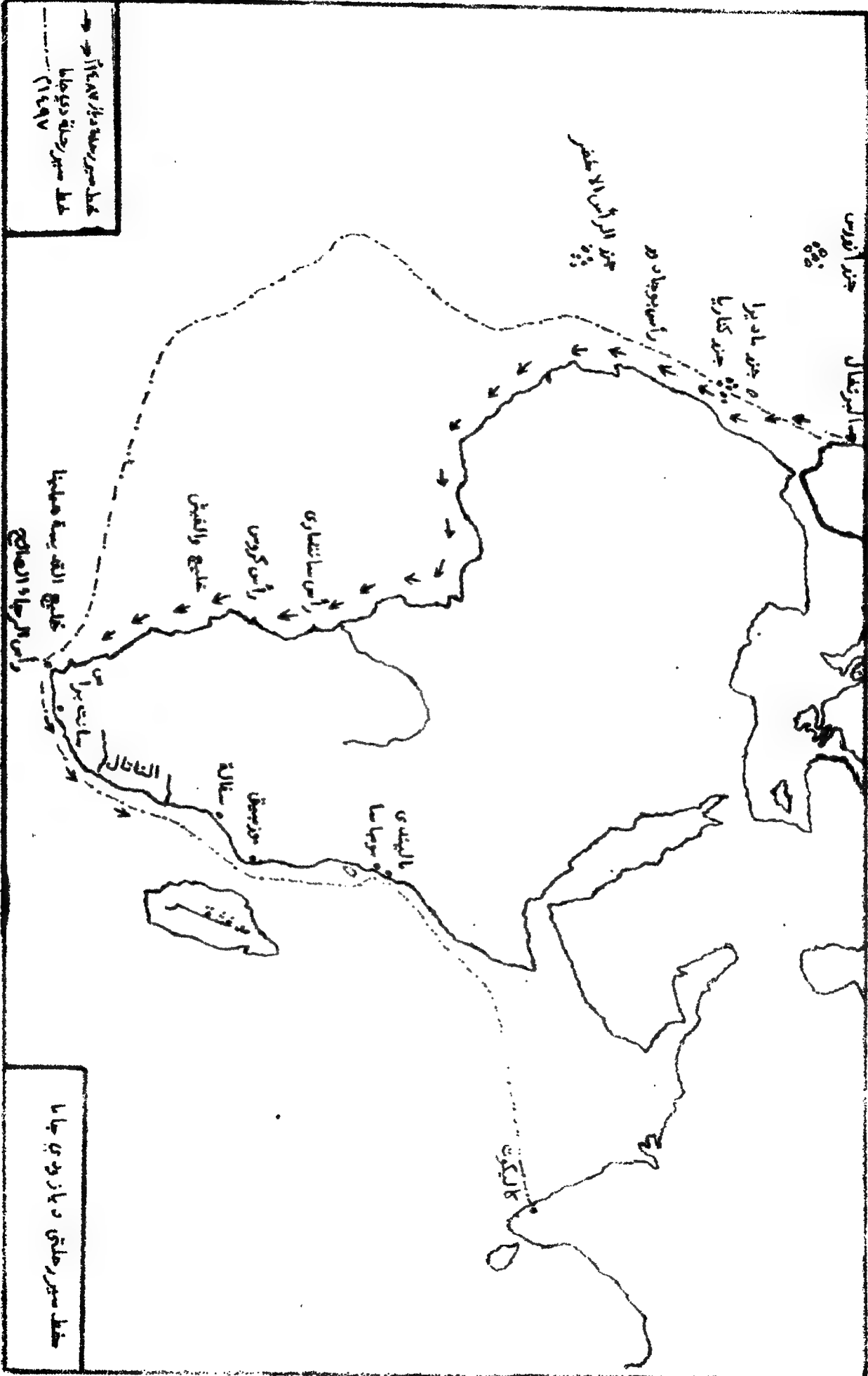
هذه العوامل كلها ساهمت في تدهور وانهيار قوة دولة المماليك وبالتالي سقوطها في أيدي العثمانيين ، ولم يكن توسع البرتغاليين سوى

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ابن طولون ، مفاتيح الخلاص ، ج ١ ، ص ٣٤٢ .

(٢) Cook.op.cit.p.72; Rabie, political Relations.p.p.(٢) 5 - 6 ;

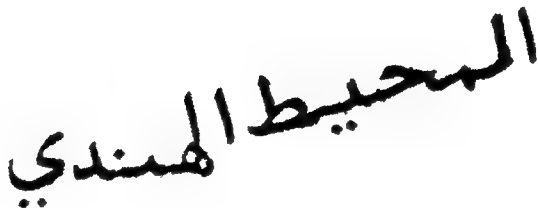
عبد العزيز نوار ، تاريخ العرب الحديث ، ص ٤٥ - ٤٦ .
(٣) الشيلي ، السنا الباهر ، ورقة ١٩ ، النهر والى ، الاعلام ، ص ٢٤١ - ٢٤٢
Cook. op. cit.p. 73.

عامل من هذه العوامل . لقد هاجم البرتغاليون البحر الأحمر للاستيلاء عليه ، ولكن ردتهم عنه قوة المقاومة المملوكية . وبعد سقوط سلطنة المماليك تولى العثمانيون مهمة الدفاع عن هذا البحر بقوة أكبر ، لذلك تطلع البرتغاليون الى مد نفوذهم الى الخليج العربي . وهو موضوع الفصل الثالث .



خط مسیر حمله دوازده ساله ۱۳۴۸ تاکنون
 خط مسیر حمله دیهوجا ۱۳۹۷

خط مسیر حمله دوازده ساله ۱۳۴۸ تاکنون



الفصل الثالث

النقوذ البرتغالي في الخليج العربي
في القرن العاشر الهجري . وموقف أبناء
الخليج والعثمانيين والصفيين .

١- غزو البرتغاليين مراكز التجارة في الخليج العربي
وسيطرتهم عليها .

٢- تدبير البرتغاليين للقوى البحرية العربية في
الخليج العربي .

٣- موقف أبناء الخليج والعثمانيين والصفيين
من النقوذ البرتغالي في الخليج العربي .

(١) غزو البرتغاليين مراكز التجارة في الخليج العربيوسيطرتهم عليها

٥٥

يرتبط ذكر الغزو البرتغالي لمراكز التجارة في الخليج العربي
 بسيرة الفونسو دى البوكيرك Alfonso de Albuquerque
 القائد البرتغالي ، الذى وفد الى الشرق في سنة ٩٠٩ هـ (فبراير سنة
 ١٥٠٣ م) . وخلال مدة اقامته في الهند وضع البوكيرك خطة حكيمة
 لتحقيق سيادة البرتغاليين البحرية ، وذلك باحتلال الموانئ
 التجارية على طول الطريق البحرى بين الهند ورأس الرجاء الصالح ،
 وجعلها مراكز مضيعة للبرتغاليين (١) .

وفي سنة ٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م ، عاد البوكيرك مرة أخرى الى الشرق
 ومعه أمراً سرياً من ملك البرتغال ، بتعيينه نائباً للملك في الهند ، خلفاً
 لدوق الميدا نائب الملك السابق في الهند (٢) . وصل البوكيرك

(١) Milles, op. cit. p. 140, Encyclopaedia Britannica, Article portugal, Macgregor, op. cit. 599

(٢) Sousa, op. cit. Vol. 1. p.p. 139-140; Milles, op. cit. p. 141 ;
 لوريمر ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٢-١٣ .

معها أيضا الموافقة على خطته التي عرضها مسبقا على الملك ، وهي
سد منافذ التجارة الاسلامية المتمثلة في البحر الأحمر والخليج العربي ^(١) .

وفي سنة ٩١٣هـ / ١٥٠٧ م ، استولى البوكيرك على جزيرة سوقطرة الواقعة في منتصف الطريق بين البحر الأحمر والخليج العربي ، كماهاجم ^(٢) عدن في نفس السنة ، ولكنه فشل أمامها ، فتوجه الى الخليج العربي الذي كان أكثر سهولة من البحر الأحمر . وبدأ الغزو البرتغالي لمراكز التجارة في الخليج ، وأهمها - من الجنوب الى الشمال - قلعات وقربا ط ومسقط وصحار وخورفكان وهرمز والبحرين والقطيف والبصرة .

أبحر البوكيرك الى الخليج العربي في سبع سفن وأربعمائة وستين محاربا ^(٣) . ووصل الى قلعات في سنة ٩١٣هـ (أغسطس سنة ١٥٠٧ م) بعد أن مرّ على جزيرة مصيره ورأس الحد وصور على الساحل العماني وألقى مراسيه فيها بعد أن ألقى في طوب سكانها الرعب بأفعاله الوحشية عند دخوله المياه العمانية ، حيث دمر السفن والمراكب الراسية في الموانئ السالفة الذكر ^(٤) .

(١) صلاح العقاد ، التيارات السياسية ، ص ١٤ - ١٥ .

(٢) انظر ما سبق ص ٩٩

(٣) . Sousa. op. cit. Vol. 1. p. 126 .

(٤) Milles. op. cit. p. 143.

كانت قلعات تابعة لمملكة هرمز الفارسية ، وخطط البوكيرك للقضاء على هذه المملكة بالاستيلاء على جميع الموانئ التابعة لها . وبعد وصوله الى مدينة قلعات بيوم واحد ، أرسل البوكيرك الى الحاكم وفدا من قبله يطلب تسليم المدينة دون قيد أو شرط ، ونقل تبعيتها لملك البرتغال ^(١) . ووافق الحاكم الفارسي خوفا من تدمير المدينة ، وقدم للبوكيرك الامدادات اللازمة للأسطول ، وعقد معه الصلح ^(٢) .

ورغم الصلح الذي عقده البوكيرك مع حاكم قلعات ، إلا أن المدينة لم تسلم من التدمير والنهب ، فبعد حصار البوكيرك لهرمز سنة ٩١٣ هـ ١٥٠٧ م ، رحل عنها بعد ترويع قلوبه عليه وعاد الى سوقطرة ^(٣) . وبعد ذلك رجع البوكيرك الى قلعات في سنة ٩١٤ هـ (أغسطس ١٥٠٨ م) ، للانتقام منها ، لمساعدتها هرمز أثناء حصار البرتغاليين لها . وحاول البوكيرك في هذه المرة استدراج حاكم قلعات " شريف الدين " الى سفينته للغدر به ، ولكنه أفلت منه ، عن طريق الاعتذار ، لذلك

Milles. op. cit. p. 144 . (١)

Sousa. op. cit. Vol. 1. p.p. 126- 167. (٢)

(٣) انظر مايلي ص ١١٨ - ١٢١

هاجم البوكسرك المدينة واستولى عليها ، وأمر بنهبها . وحاول شريف الدين - الذي التجأ الى الجبال - استرداد المدينة ولكنه فشل في ذلك ، وحمل البوكيرك المؤن والغنائم الى سفنه ، وأمر بحرق المدينة وهدم المسجد الجامع بها .^(١)

أما استيلاء البرتغاليين على قرياط - التي تقطع على مسافة عشرة فراسخ من قلعات - فقد وصلها البوكيرك في سنة ٩١٣هـ (٢٢ أغسطس ١٥٠٧م)^(٢) . ووجد البوكيرك في قرياط استعداد السكان للمقاومة فلم يبعث اليهم بوفد كما فعل مع قلعات . بل قصف المدينة بعنف فوجد استبسالاً في التصدي والمقاومة ، مما أطال زمن المعركة ، ولكن في النهاية تغلبت الأسلحة البرتغالية القوية ، فتراجع أهل المدينة ودخلها البوكيرك ، وأعمل فيها مذبحة بشعة ، قتل البرتغاليون فيها كل من وقع تحت أيديهم من الأهالي العزل دون تمييز.^(٣) وأخيراً تم احراق المدينة ، وأسر كثير من أهلها ، وأحرق البرتغاليون جميع السفن

(١) Sousa. op. cit. Vol. 1. p.p. 140-141 ;
Milles. op. cit. p.p. 152-153 .

(٢) لوريير ، نفس المرجع ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٣) Milles. op. cit. 144- 145 .

التي كانت في الميناء ، ولم يكفهم كل هذا بل عمدوا الى تشويه الأسرى
العزل بصل آذانهم وجدع أنوفهم .^(١)

ثم توجه البوكيرك بعد ذلك الى مسقط . ومسقط - كما هو معروف -
الميناء الرئيسي على ساحل عمان ، وأكثرها مناعة وحصانة . وترامى الي
آذان سكانها أنباء كارثة قرياط قبل أن يقدم اليهم البوكيرك ، فراحوا
يحصنون المدينة بالمدافع ، وبناء سور اغافى حولها . ورغم كل ذلك
لم تكن لديهم نية الدخول في حرب مع البرتغاليين منذ البداية .

وصل البوكيرك الى مسقط ، بعد أربعة أيام من مفادرتهم
لقرياط . ورسا على مقربة منها ، وتقدم اليه وفد من أهالي المدينة ،
عارضين استعدادهم للتفاهم سلماً ، راجين منه عدم التعرض لمدينتهم
بسوء .^(٢)

وفي أثناء المفاوضات تلقت مسقط تعزيزات كبيرة من ملك هرمز ،

Sousa. op. cit. Vol. 1. p.p. 126-127; Milles. op. cit. p.p. 144-145; Serjeant, op. cit. p. 15 .

Sousa. op. cit. Vol. 1. p. 127; Milles, op. cit. (٢) p.p. 145-146;

قدري قلججي ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٣٦٤ .

مما جعل وفدها يفاوض من مركز القوة الى حد ما ^(١) . وقد اشترط عليهم البوكيرك دفع ضريبة سنوية ، وامداد أسطوله بالمؤن والماء ، والخضوع لملك البرتغال . ووافق المتفاوضون على امداده بالمؤن ، ولكنهم رفضوا الخضوع لملك البرتغال . فما كان من البوكيرك الا أن هاجم مسقط مسن عدة جهات مستخدما المدافع والاسلحة النارية . وقاوم السكان بضراوة وأنزلوا بقوات البوكيرك خسائر كبيرة . وأخيرا استطاع البرتغاليون اقتحام المدينة والاستيلاء عليها . وأعمل البوكيرك رجاله مذبحه رهينة بين السكان رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً . ^(٢)

ويذكر مايلز في كتابه ^(٣) أن مسلك البوكيرك كان يستحق اللوم ، ان أنه بعد أن هزم العرب وتجمع الجنود البرتغاليون المشتتون ، أمر القائد البرتغالي بذبح معظم السكان الباقين ، رجالا ونساءً وأطفالا بدون تمييز .

هذه الأعمال الوحشية لازمت الصليبيين الأوروبيين في جميع حروبهم ضد المسلمين . وتذكرنا المذبحة التي أعظمها البوكيرك في

Sousa, op. cit. Vol. 1.p. 127; Milles. op. cit.(١)
p. 146 .

Milles, op. cit. p.p. 146-147 . (٢)

Milles, op. cit. p. 146 . (٣)

أهالي سقط ، بالمذبحة التي اقترفها الصليبيون عند غزوهم بيت المقدس في حملتهم الصليبية الأولى ، حيث نرى نفوسهم الحاقدة لا تروىها الا الدماء .^(١)

وبعد نهب مدينة سقط ، وتزويد السفن بالمؤن استعداد البوكسرك لحرق المدينة . وقد رجاء من التجأ من السكان الى الجبال أن ينقذها من الحرق ، ولكنه اشترط عليهم دفع فدية كبيرة ، كان من الصعب على من تبقى من السكان دفعها . لذلك أضرت النيران في سقط ، ودمرت مساجدها ، وتركها البرتغاليون خاوية على عروشها .^(٢)

بعد تدمير سقط ، دب الخلاف بين البوكسرك وبين القبطان جواوي نوا Joao de Nova قائد السفينة " فلوردي لامار " Flor de Lamar . وواجه البوكسرك هذا التمرد باستعمال العقوبات الشديدة .^(٣) ثم سار باسطوله الى صحار ، ورسا أمام قلعتها الحصينة الضخمة . ونظرا لأن القلعة كانت تفتقر الى حامية قوية

(١) انظر ستيفن رانسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٠٤-٤٠٦

(٢) Milles.op.cit.p.147;
لوريير ، نفس المرجع ، ص ١٢-١٣ ، قدرتي قلعجي ، نفس المرجع ص ٣٦

Milles.op. cit. p. 149. (٣)

للدفاع عنها ، أرسل حاكم المدينة الى البوكيرك رسالة يلحح لــــه فيها برغته في السلام وعقد الصلح مع البرتغاليين . ورغم ذلك استعد البوكيرك للهجوم على المدينة في اليوم التالي ، لولا أن وصل اليــــه وفد من الحاكم يعلن خضوعه لملك البرتغال ، وتسليم القلعة .

وفرض البوكيرك ضريبة سنوية ، ووضع العلم البرتغالي في أعلى القلعة ، وأبقى حاكم المدينة مسئولاً عنها بعد أن اعترف بالولاء للملك البرتغالي .^(١)

اتجه البوكيرك بأسطوله بعد ذلك الى خورفكان ، في أواخر عام ١١٣هـ / ١٥٠٧م . وكانت أخبار البرتغاليين وأفعالهم الوحشية قد ملأت المدينة ، فاستعد السكان للمقاومة . وانتظر البوكيرك استسلامهم كما حدث في صحار الا أنهم لم يفعلوا ، فقصف البرتغاليون المدينة بالمدافع واقتحموها ، فراجع الأهالي الى القلعة وتحصنوا بها . فأرسل البوكيرك خلفهم ابن أخيه انطونيو Antonio فواجه مقاومة عنيفة واستبسالاً رائعا . ولحقت بالبرتغاليين خسائر كبيرة ، قبل هزيمة

Milles.op.cit.p.p.149-150;

(١)

لوريير ، نفس المرجع ، ص ١٣ ، قدرى قلعي ، نفس المرجع

ص ٣٦٥

سكان خورفكان . ونهبت المدينة لمدة ثلاثة أيام ، وأسر البرتغاليون الكثير من أهلها ، وعملوا على تشويههم بقطع آذانهم وأنوفهم ، وأخيرا جعلوا المدينة طعاماً للنيران .^(١)

وجاء دور هرمز مفتاح الخليج العربي ، وأهم مركز تجارى به . وكانت هرمز مطقة ذات نفوذ كبير ضمت معظم موانئ الشاطئ العمانسي لمدة قرنين من الزمان ، فكانت تخضع لها كل من قلعات وقرياط ومسقط وصحار وخورفكان والبحرين .^(٢)

وقبل أن يهاجم البوكيرك هرمز ، عمل على تحطيم قوتها ونفوذها بتدمير المدن التابعة لها ، وعندما سار إليها البوكيرك وجدها غير تلك المدن التي دمرها وأحرقها ، ان وجدها مدينة منيعة محصنة مستعدة أتم الاستعداد لمواجهة بعد أن وصلتها أنباء مبكرة . وكان يحكم هرمز في ذلك الوقت الملك سيف الدين ، وهو ابن اثنا عشر عاماً ، تحت وصاية مربيه الشيخ خوجه عطار الذي عمل جاهداً على جمع أكبر قدر من القوات - من الفرس والعرب - لحماية الجزيرة .^(٣) ورغم

(١) Sousa.op.cit.Vol.1.p.p.127-128; Milles.op.cit. قدرى قلجى ، نفس المرجع، ص ٣٦٥
p.p.150-151;

(٢) انظر ما سبق ص ٤٥ - ٤٧

(٣) Sousa.op.cit.Vol.1.p.p.128-129;

عبد العزيز نوار ، تاريخ العرب الحديث ، ص ٦٩ .

استخدام قوات هرمز للمدافع ضد البرتغاليين الا أن أسلحة أعدائهم كانت أكثر قوة وتقدما . وحاصر البوكيرك الجزيرة وطلب من ملكهم التسليم والخضوع لطك البرتغال . ورفض الشيخ عطار باصرار ، فبدأ البرتغاليون باطلاق مدافعهم فهاجمهم المدافعون في القوارب والسفن . وحدثت معركة هائلة استبسل فيها أهل الجزيرة استبسالاً عظيماً قبل أن يهزمهم البوكيرك . وهنا يبالغ سوزا Sousa في الاقلا من عدد القتلى البرتغاليين حيث يذكر بأنهم قد بلغوا عشرة رجال فقط ، وهذا عدد ضئيل بالنسبة لضخامة المعركة ، وضخامة عدد المدافعين عن المدينة الذين وصل عددهم كما ذكر سوزا نفسه ثلاثة وثلاثين ألف رجل . ولو أن كل فرد من المسلحين قد دافع عن نفسه فقط ، لقتلوا أضعاف هذا العدد الذي ذكره سوزا .

ويصف سوزا - بنوع من التباهي - وحشية البرتغاليين بعد انتهاء المعركة ، فيذكر كيف أن الجنود البرتغاليين كانوا يصطادون جثث المسلمين التي طفت على سطح الماء ، لنهب حليهم الذهبية التي يرتدونها .^(١)

وهكذا انتهت المعركة بقبول الشيخ عطار والملك سيف الدين شروط الاستسلام ، وهي دفع ضريبة سنوية وقدرها خمسة عشر ألف دينار أشرفي ذهب سنويا ، والخضوع لملك البرتغال ، وبناء قلعة على الجزيرة .^(١)

وهزت أنباء سقوط هرمز في أيدي البرتغاليين العالم الاسلامي وأشار الى ذلك كثير من مؤرخي المسلمين ،^(٢) وعلى سبيل المثال ، يذكر ابن المطهر في حوادث سنة ٩١٣هـ / ١٥٠٧ م ما نصه : " وفي هذه السنة غلبت الفرنج على مدينة هرمز وأخذوها وأفنوا من فيها من المسلمين والتجار والمسافرين " .^(٣)

(١) Sousa .op. cit. Vol.1.p.p.131-132 ؛

قدري قلعجي ، نفس المرجع ، ص ٣٦٥ .

(٢) انظر على سبيل المثال ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٢١١ ،
العيدروسي ، النور السافر ، ص ٦٢ ، ابن العماد ، شذرات
الذهب ، ص ٦٠ .

(٣) ابن المطهر ، روح الروح ، ورقة ٧٠ .

وبعد استسلام جزيرة هرمز ، ثار القادة البرتغاليون على البوكيرك
وقرروا الرحيل الى الهند ، كما هربت سفينتان من سفنه ، وتخلّى عنه
كثير من الرجال ، فقرر الرحيل الى سولطرة ، وسمح لجواو دي نوفاس
Joao de Nova بالذهاب الى الهند .^(١)

وفي سولطرة عمل البوكيرك على تقوية حامية الجزيرة ، وزوّده أسطولاً
بسفينتين قادمتين من البرتغال ، ورحل عائداً الى هرمز مرة أخرى . وفي
الطريق مرّ على قلعات ودمرها^(٢) ، ووقع في أسر بعض الأشخاص الذين
زودوه بمعلومات عن أحوال هرمز . ووصل البوكيرك الى هرمز في سنة
٩١٤ هـ (سبتمبر ١٥٠٨ م) وعرض على الشيخ عطار والطك سيف الدين
نفس الشروط السابقة ، للتأكد من خضوعهم ، فأجابوه بأنهم على استعداد
لدفع الجزية ، ولكنهم لا يوافقون على إقامة القلعة .^(٣) لذلك حاصر
البوكيرك الجزيرة مرة أخرى ، وهنا جاءت الأوامر من دى الميدا نائب
الملك في الهند ، تأمره برفع الحصار ، فقبل البوكيرك على مضض تلك
الأوامر وتوجه الى الهند .^(٤)

(١) Sousa, op. cit. Vol. 1. p. 134; Milles, op. cit. (١)
151, Macgregor, op. cit. p. 597.

(٢) انظر ما سبق ص ١١٣ و ١١٤

(٣) Sousa, op. cit. Vol. 1. p. 141

(٤) صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ١٦-١٧ .

ثم تولى البوكيرك منصب نائب الملك في الهند في عام ٩١٥ هجرية (نوفمبر سنة ١٥٠٩ م) خلفا للميدا وانتشغل عن هرمز والخليج مدة سبع سنوات ، قضاها البوكيرك في توطيد نفوذ البرتغاليين في الهند والشرق الأقصى . (١)

وفي سنة ٩١٩ هـ / ١٥١٣ م عاود البوكيرك رحلاته الى البحر الأحمر حيث هاجم عدن (٢) ، ولكنه فشل مرة أخرى نظرا لقوة المقاومة الاسلامية هناك ، فاتجه مرة أخرى الى الخليج عام ٩٢١ هـ / ١٥١٥ م ، ومرّ فسي طريقه على رأس الحد وقرياط ومسقط حيث تزود بالمؤن . واتجه البوكيرك بعد ذلك الى هرمز وحاصرها وقتل حاكمها ، فاستسلمت له . وعين ابن أخيه بدرو دي البوكيرك Pedro de Albuquerque قائدا للقاعدة هرمز ، ووضع تحت تصرفه حامية قوية وتوجه البوكيرك ثانية الى الهند ، وقبل وصوله الى غوا على الساحل الغربي للهند عاجلته المنية . (٣)

وهكذا مات البوكيرك تاركا وراءه تاريخا حافلا بالوحشية والدمار ، والدماء والحقن تجاه الاسلام والمسلمين ، حيث أمر بهدم المساجد التي

(١) لوريير ، نفس المرجع ، ص ١٣ .

(٢) انظر ما سبق ص ٩٩-١٠٠

(٣) Milles, op. cit. p. 154-155;

لوريير ، نفس المرجع ، ص ١٤ .

وقعت تحت يده ، أثناء هجومه على المدن . والباحث يلس السروح الصليبية المتعصبة في كل خطوة خطاها البوكيرك على أرض الخليج العربي فقد كتب الى ملك البرتغال يقول له انه حيثما أمكنه العثور على عربي ، كان افلاته من يده من المحال ، وانه كان يملأ بهم المساجد ويضرم فيها النار . (١)

ولم تسلم البحرين من غزو البرتغاليين ، فقد التفتت اليها أنظارهم لثرائها الرائع من تجارة اللؤلؤ ، وكانت البحرين خاضعة لنفوذ هرمز ، ويحكمها عربان بنى جبر منذ النصف الأخير من القرن التاسع الهجري . (٢)

زار البرتغاليون البحرين لأول مرة سنة ٩٢١هـ / ١٥١٥ م ، فقد حاصر بدرو البوكيرك المنامة بناءً على أوامره ، وأغضعها لملك البرتغال سلماً ، ثم عاد الى هرمز (٣) . وبعد سبع سنوات ، أى في سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢٧ م عاد البرتغاليون مرة ثانية الى البحرين ، أثناء فترة حكم نائب الملك في الهند " ديجودا سكويرا " .

Diego da Sequeira وجاء البرتغاليون اليها في قوة بحرية

(١) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٤٦ .

(٢) انظر ما سبق ص ٨٤٧

Milles, op. cit. p.p. 153- 154. (٣)

مكونة من سبع سفن ، عليها أربعمائة محارب ومائتي مركب بقيادة
 انطونيو دي كوريا^(١) Antonio de Correa حاصر دي كوريا
 المنامة عاصمة البحرين واستولى عليها بعد أن قصفها ودمر جزءا كبيرا
 منها .

ويذكر ابن اياس في حوادث سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م : أن الأمير
 مقرن بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري ، أمير البحرين ، كان في
 تلك السنة يؤدي فريضة الحج . فلما رجع الى بلاده وقعت الحرب بينه
 وبين الافرنج فهزموه وأسروه . وحاول أمير البحرين أن يفك أسره ، بدفع
 مبالغ طائلة لهم ، ولكنهم أبوا عليه ذلك وقتلوه وهو في الأسر واستولوا
 على أمواله وبلاده .^(٢)

وبنى البرتغاليون قلعته في المنامة ، وفرضوا ضريبة كبيرة على
 الاهالي ، وأطلق على القائد دي كوريا لقب " بطل البحرين " .^(٣) وذكر
 محمد بن خليفة النبهان أن قلعته لا تزال قائمة وتسمى قلعة عجاج .^(٤)

(١) سيد نوفل ، الاوضاع السياسية ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٤٣١ .

(٣) سيد نوفل ، نفس المرجع ، ص ٤٣ ، صلاح العقاد ، نفس المرجع

ص ١٨-١٩ .

(٤) محمد بن خليفة النبهان ، التحفة النبهانية ، ج ١ ، ص ٦٠ - ٦١ .

وكانت الأحساء والقطيف ، تتبعان البحرين في الحكم ويملكهما بنوجبر . فلما استولى البرتغاليون على البحرين وقضوا على أمير البحرين أصاب الضعف بني جبر في القطيف والأحساء ، لذلك استعانوا بأمير البصرة الشيخ راشد بن مغاس بن صقر بن محمد بن فضل لحمايتهم من التدخل البرتغالي في القطيف . فلما رأى الشيخ راشد ما هم فيه من التفكك واضطراب الأحوال الداخلية جاء إلى القطيف واستولى عليها وأقام بها ، وولى على البصرة أخيه محمد ^(١) . ورغم هذا ظلت تبعية القطيف لحاكم هرمز قائمة ، وتدفع له الضريبة السنوية ^(٢) ، وأصبح للبرتغاليين الحق تلقائيا في استعمال قلعة المدينة . وفي سنة ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م ، أخضع الأتراك العثمانيون البصرة وجعلوها متسلمية عثمانية ، يحكمها والي عثماني وطردها حاكمها الشيخ راشد ^(٣) .

وبعد عدة سنوات ، وبالتحديد في عام ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م ، أعلن أهالي القطيف تبعيتهم للدولة العثمانية ، لحمايتهم من البرتغاليين

(١) الاحسائي ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٢١ .

(٢) لوريير ، نفس المرجع ص ١٦ - ١٧ .

(٣) لونكريك ، نفس المرجع ، ص ٣٣ - ٣٤ .

وسلموا قلعة المدينة للعثمانيين .^(١) وفعلا دخل العثمانيون القطيف
وفرغوا حمايتهم عليها .

وهنا استجد حاكم هرمز الفارسي بالبرتغاليين ، كما استجد حاكم
الهندورة السابق في نفس السنة بالبرتغاليين أيضا أملا في استرداد
ملكه من العثمانيين . وارسل نائب الملك في الهند " الفونسودي
نورونها " Alfonso de Noronha (١٥٥٠-١٥٥٣)
ابن أخيه انطونيودي نورونها Antonio de Noronha
في حملة مكونة من تسع عشرة سفينة عليها ألف ومائتين رجل توجهت
الى القطيف .^(٢)

وفي هرمز تجمع جنود شيخ هرمز وأمير البصرة راشد بن مفامس
مع جنود نورونها ونزلوا أمام قلعة القطيف وقصفوها ودمروا قلعتها
وتحصيناتها . ورغم استئصال الأتراك في تلك المعركة ، إلا أن الهزيمة
حاقبت بهم وعادت القطيف ترزح تحت نير السيطرة البرتغالية .^(٣)

(١) Sousa, op. Cit. Vol.2. p. 152;

لونكريك ، نفس المرجع ، ص ٤٣ .

(٢) Sousa, op. cit. Vol. 2. p. 152;

لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٦ - ١٧ .

(٣) Sousa, op. cit. Vol. 2. p. 152;

لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٧ .

ولم تستمر سيطرة البرتغاليين على القطيف طويلا ، حيث عاد
الأتراك العثمانيون الى القطيف مرة أخرى . (١)

وأما البصرة ، فقد جاءت اليها أول حملة برتغالية سنة ٩٣٥هـ /
١٥٢٩م (٢) ، عندما استعان أمير البصرة راشد بن مغاس بالبرتغاليين
ضد خصمه أمير الحويزة (٣) . فبعث دي كونها De Kunha
نائب الملك في الهند الى راشد بن مغاس حملة بقيادة " طشـــــــــــــــــيور
تافرزدى سوزا " ، ولكن دبّ الخلاف بين القائد البرتغالي وأمير البصرة ،
مما جعل القائد البرتغالي يدرب بعض القرى التابعة للبصرة ، وعاد
أدراجه الى هرمز . (٤)

فتح العثمانيون بعد ذلك العراق سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٤م وأعلن
حاكم البصرة العربي راشد بن مغاس ولائه للعثمانيين عام ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م (٥)

(١) انظر مايلي ص ١٤٤

(٢) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٦ ؛ لونكريك ، نفس المرجع ، ص ٤٣ .

(٣) الحويزة : موضع شرقي دجلة بين واسط والبصرة وخوزستان . انظر
ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ ؛ انظر أيضا دائرة
المعارف الاسلامية ، مادة الحويزة .

(٤) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٦ ؛ عبدالعزيز نوار ، تاريخ العرب الحد
ص ٢٠ - ٢١ .

(٥) الشيلي ، السنا الباهر ، ورقة ٤٠٣ ؛ ابو السرور البكري ، المنـــــــــــــــــح
الرحمانية ، ورقة ٢٦ ؛ محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٩٠ ؛

Inalcik, op. cit. p. 38 .

وفي عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م ، استولى العثمانيون على البصرة بقيادة
 اياس باشا . فطرد راشد بن مفاص بسبب تمرده المستمر ضد الدولة
 العثمانية . واستجد ابن مفاص بالبرتغاليين مرة أخرى ، وفعلا
 جاء الى البصرة القائد البرتغالي انطونيوي نوروها بعد تدمير
 القطيف .

في ٩٥٧هـ/١٥٥٠م ، ولكنه خشي من غدر أمير البصرة السابق ،
 فعاد الى هرمز دون أن يقدم معونة حقيقية لابن مفاص .^(١)

وفي عام ٩٦٤هـ/١٥٥٦م قام البرتغاليون بحملة ثالثة على البصرة ،
 ولكنها لم تحقق شيئا ، حيث اجتاحت الأسطول عاصفة عاتية ، ففرقت
 كثيرا من قطعه في الخليج العربي .^(٢)

وهكذا وقعت تلك المراكز الهامة في الخليج العربي تحت نير
 السيطرة البرتغالية مدة قرن من الزمان ، عانى خلالها سكان الخليج

(١) Sousa. op. cit. Vol. 2. p. 152;

لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٧ ؛ لونكريك ، نفس المرجع
 ص ٣٣-٣٤ .

(٢) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٨ .

مرارة الحروب الشرسة والتدمير المستمر .

وأدرك البرتغاليون - أثناء غزوهم لمراكز التجارة في الخليج العربي - أن سيطرتهم على تجارة الهند المارة بالخليج العربي والبحر الأحمر ، لا تصبح تامة الا بالسيطرة على موانئ جنوب شبه الجزيرة العربية ، ومن أهمها الشحر المتحكمة في الطريق البحري بين الخليج العربي والبحر الأحمر .

وكانت الشحر تخضع للسلاطين الكثيريين منذ القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، ومؤسس السلطنة الكثرية ، هو على بن عمر بن جعفر الكثرى .^(١)

تعرضت الشحر لهجمات القراصنة البرتغاليين منذ قدومهم الى الشرق . وعانى السلاطين الكثيريون كثيرا من نهب المراكب فسي ميناء الشحر^(٢) . وكان أول هجوم منظم على الشحر قام به البرتغاليون سنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م ، عندما جاءوا اليها في أربع عشرة سفينة^(٣) .

Serjeant, op. cit. p. 25; (١)

باوزير ، صفحات من التاريخ الحضري ، ص ١١٩ .

Serjeant, op. cit. p. 27. (٢)

(٣) باوزير ، نفس المرجع ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

.. وذكر العيدروسي أن البرتغاليين دخلوا المدينة عنوة ، فتصدى لهم الأهالي ، ودارت معارك عنيفة في شوارع المدينة ، وقتل كثير من أهليان وفقهاء الشحر الذين تصدوا لهم .^(١) واستمر القتال ثلاثة أيام لم يترك البرتغاليون شيئاً إلا ونهبوه . وأسروا كثيراً من الأهالي ، إلا أنهم هزموا بعد ذلك هزيمة نكراء فهربوا إلى سفنهم وتوجهوا إلى الهند .^(٢)

وعاود البرتغاليون عطيات القرصنة أمام الشحر وفي البحر العربي .
ففي سنة ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م أبحر الأميرال انطونيـو دا أميرانـدا Antonio da Amiranda ، من غوا في عشرين سفينة قاصدا البحر العربي لاعتراض السفن المتوجهة إلى البحر الأحمر ، ولكنه لم يفلح بمهاجمة الشحر لوجود سفن حربية عثمانية لقربها . وقام بنفس المهمة مانويل دافاسكونسيلو Manoel da vas Concello سنة ٩٣٩هـ / ١٥٣٢م .^(٣)

(١) العيدروسي ، النور السافر ، ص ١٣٦

(٢) باوزير ، نفس المرجع ، ص ١٢٤ - ١٢٥

(٣) Milles, op. cit. p.p. 164-167 .

وفي سنة ٩٤٢هـ/١٥٣٥ م ، قام البرتغاليون بحملة أخرى أكبر من الأولى للاستيلاء على الشحر . وكان سلطان الشحر وقتذاك بدر بن عبد الله الكثيري ، قد أستعد لهم هذه المرة . ووقعت معركة هائلة في الميناء بين قوات السلطان بدر والبرتغاليين استطاع خلالها أن يأسر كثيرا من سفن البرتغاليين ، واستسلم معظمهم للسلطان .

وبعد انتهاء المعركة ، أرسل السلطان بدر خمسة وثلاثين أسيرا برتغاليا الى السلطان العثماني سليمان القانوني طمعا في رضا السلطان والاستعانة به فيما بعد لطلب الحماية من الدولة العثمانية ضد البرتغاليين . (١)

وبدأ السلطان بدر بن عبد الله الكثيري في مكتبة السلطان سليمان القانوني طالبا منه الحماية من الفارات البرتغالية (٢) . وكان العثمانيون بدورهم يحاولون فرض سيطرتهم على جنوب شبه الجزيرة العربية ، للحد من نفوذ البرتغاليين على الملاحة في المحيط الهندي .

(١) الشيلي ، السنا الباهر ، ورقة ٤٠٤ - ٤٠٥ ، العيدروسي ، النور

السافر ، ص ٢٠٨ ، باوزير ، نفس المرجع ، ص ١٢٥ .

(٢) باوزير ، نفس المرجع ، ص ١٢٦ .

وأرسل السلطان العثماني سليمان القانوني في سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م ، حملة الى الهند بقيادة سليمان باشا - الخادم لقتال البرتغاليين . ومرت الحملة العثمانية على اليمن واستولت عليها بعد أن قضت على بقايا الدولة الطاهرية ، ^(١) وبعد فشل حملة سليمان باشا في الهند ، وأثناء عودته الى عدن مرّ في طريقه الى الشحر ، وهناك أعلن السلطان بدير خضوعه للعثمانيين ^(٢) ، ووافق السلطان الكثيرى على أداء مبلغ من المال سنويا (فريضة) للدولة العثمانية ، ومقدارها عشرة آلاف دينار أشرفي . ^(٣) وبذلك دخلت الشحر ضمن أملاك الدولة العثمانية وكسب سلاطين الشحر حماية أقوى دولة اسلامية في ذلك الوقت ، ونجست بذلك من الخضوع للبرتغاليين .

-
- (١) انظر مايلي ص ١٦٢
 (٢) اسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ص ٥٤٨ ، باوزير ، نفس المرجع ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .
 (٣) Serjeant, op. cit. p. 29;
 باوزير ، نفس المرجع ، ص ١٢٨ .

(٢) تدمير البرتغاليين للقوى البحرية العربيةفي الخليج العربي

أما عن قيام البرتغاليين بتنفيذ سياسة تدمير القوى البحرية العربية العربية في الخليج العربي ، فبعد أن احتل البرتغاليون مراكـز التجارة في الخليج ، تغيرت الصورة القديمة للملاحة فيه من الأحسن الى الأسوأ . كان هدف البرتغاليين جعل الخليج العربي مخزناً للتجارة البرتغالية فقط ، دون أن تكون له أسواقاً ومحطات تجارية هامة تعيد شحن البضائع الى شط العرب .^(١)

واتبع البرتغاليون سياسة منع العرب من المتاجرة مع الهند والشرق الأقصى بكل الوسائل ، بما في ذلك مهاجمة السفن في الخليج ، وتدمير السفن الراسية في موانئ الخليج العربي .

وقام البوكيرك بتنفيذ هذه السياسة ، منذ دخوله الخليج لأول مرة

سنة ١١٣٥هـ / ١٥٠٧ م . ففي طريقه الى قلعات بعد أن أقطع مسن جزيرة سوقطرة ، دمر البوكيرك كل مركب خليجي التقى به في طريقه^(١) . وأثناء محاصرته لمراكز التجارة في الخليج العربي وبعد تدميرها أحرق البوكيرك السفن الراسية في الموانئ الاسلامية ، فمثلا عندما دمر البوكيرك قرياط ، أحرق ثمان وثلاثين سفينة كانت في الميناء ، وعندما هاجم مسقط أحرق أربع وثلاثين سفينة كانت راسية في مينائها ، وبعد مهاجمة هرمز أمر البوكيرك بحرق النقل البحري في الخليج العربي^(٢) . وذكر سوزا Sousa بأن البوكيرك أحرق أكثر من ثلاثين سفينة كانت في ميناء هرمز .^(٣)

وأحكم البرتغاليون السيطرة على السفن التجارية في الخليج ، بواسطة الحصون التي أنشأوها في كل مركز تجارى استولوا عليه ، ووضعوا فيها حاميات عسكرية للاشراف على الطريق البحري ، كما منعوا أية

(١) لوريير ، نفس المرجع ، ص ١٢ - ١٣ ، Milles, op. cit. p. 143.

(٢) Milles, op. cit. p.p. 144- 153

(٣) Sousa, op. cit. Vol. 1. p.p. 130-131.

سفينة عربية في الخليج من ممارسة التجارة دون اذن رسمى بالملاحة
من البرتغاليين .^(١)

وما ساعد على سرعة تدمير البرتغاليين للقوى البحرية العربية
في الخليج العربي ، سياسة القرصنة البحرية التي مارسها البرتغاليون
في الخليج . وهناك أمثلة تاريخية كثيرة تؤيد هذا القول ، فعلى
مقربة من قلعات استولى البوكسيزك على سفينة عدنية حولتها
مئتا طن^(٢) ، وذكر سلفوزا أن ديجودي ميلو Diego de Mello
أحد القادة البرتغاليين الذين حاصروا هرمز ، استولى في حادث
قرصنة على سفينة محملة بالؤلؤ من البحرين ، وكذلك استولى
فرانسيس دي تافورا Francis de Tavora - السدي
رافقه في الرحلة - على سفينة تابعة لبعض تجار مكة .^(٣)

وفي عام ٩٣٩هـ / ١٥٣٢ م ، استولى القائد البرتغالي مانويل دافاسكو
نسيللو Manoel da Vasconcello ، قرب صحار على
سفينة تجارية محملة بالنفائس مع غيرها من السفن الأخرى . وفي

(١) قدرتي قلعي ، نفس المرجع ، ص ٣٦٥ ؛ عبدالعزيز نوار ، تاريخ
العرب الحديث ، ص ٦٩ - ٧٠ .

Milles, op. cit. p. 144. (٢)

Sousa, op. cit. Vol. 1. p. 141. (٣)

نفس السنة توجه قادة آخرون هم انطونيو دا سالدانها :

John Antonio da Saldanha وجون رودريجو بارس

Vasco Sumpayo وفاسكو سامبا Rodrigues Pars

وانطونيو فرنانديز Antonio Fernandez الى

الخليج العربي والبحر العربي للبحث عن السفن العربية للاستيلاء عليها بعد أن تبين لهم أن القرصنة أسهل طريق إلى الثراء^(١). ويبدل هذا على أن القرصنة البرتغالية لم تكن مجرد عطيات محدودة يقوم بها لصوص البحر ، بل كان يمارسها كبار القادة البرتغاليين .

وهكذا انتهك البرتغاليون أبسط حقوق الانسان ، وهي الحرية في العمل من أجل العيش ، فالبحر هو مورد الرزق الأكبر بالنسبة لمعظم سكان الخليج العربي في ذلك الوقت ، يضاف الى ذلك أن السيطرة البرتغالية على الخليج العربي ، أضاعت ازدهاره السابق ، مما يؤكد أن الاستعمار البرتغالي كان داعية هدم وانهيار تدفعه الى ذلك الروح الحاقدة ضد الاسلام والمسلمين ، والشه البشع لالتهم ثرواتهم .

(٣) موقف أبناء الخليج العربي والعثمانيين والصقويين

من النفوذ البرتغالي في الخليج العربي

٥٥

أما بالنسبة لمقاومة أبناء الخليج العربي للنفوذ البرتغالي ،
يجدر بنا أن نتتبع من البداية مراحل هذه المقاومة . فرغم خضوع
أهالي الخليج للسيطرة البرتغالية من حيث المظهر ، إلا أنهم لم
يستكينوا مدة طويلة لما حل بهم من دمار وضياع لشراوتهم وحریتهم .
فقد قاوموا السيطرة البرتغالية بشتى الوسائل ، حتى انتهوا أخيراً
الى انهك قوتهم ، واستعادة كثير من المواقع على ساحل الخليج
في مطلع القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى .

وأول مقاومة عنيفة للغزو البرتغالي قام بها أهالي الخليج
العربي سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢١م ، بعد سبع سنين من احتلال هرمز مفتاح
الخليج العربي . فقد انتفض الخليج انتفاضة عامة ، اجتاحت مراكز
التجارة في الخليج العربي من قلعات وحتى البحرين . وكانت هذه الحركة
بزعامة شيخ هرمز شاه بندر الذى كان يخضع وقتذاك للبرتغاليين .

ورغم ارجاع بعض الباحثين ^(١) سبب هذه الانتفاضة الى السيطرة

Milles, op. cit. p. 158;

لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٤ - ١٥ ، صلاح العقاد ، نفس المرجع ص ١٩

البرتغالية على الموارد التجارية ، وتعسفهم في جمع الأموال ، الا أن تتبع سيرة البرتغاليين في الشرق عامة وفي الخليج خاصة ، تبين لنا أن هناك أسبابا عديدة لمحاولة أهالي الخليج العربي خلع نـسـير البرتغاليين . وأهم هذه الأسباب روح القسوة والظلم التي نشرها البرتغاليون في الخليج العربي ، وعدم احترامهم لحرية وعقيدة أهالي الخليج الاسلامية ، وتحطيمهم لتجارة الخليج العربي ، وحالة الفوضى التي عمت الخليج ، بعد ممارستهم لعطيات القرصنة ، وعدم استماعهم الى شكاوى الأهالي والحكام ، كل ذلك كان سببا للسخط الدائم ضد البرتغاليين .

ابتدأت المقاومة ضد البرتغاليين بعد أن أرسلت المعلومات من هرمز الى جميع المراكز الأخرى على الساحل الغربي ، وحددت يوم ٣٠ نوفمبر ١٥٢١م (٩٢٨هـ) . وفي الموعد المحدد قام شيخ هرمز شاه بندر بالخطوة الأولى ، فأمر بحرق المراكب البرتغالية في الميناء ، وتم قتل الحامية البرتغالية القائمة في الجزيرة ليلاً^(١) . وقامت بقية

Milles, op. cit. p. 158;

(١)

لوريمر ، نفس المرجع ، ١٤-١٥ ، صلاح العقاد ، نفس المرجع ،

ص ١٩٠

المراكز التجارية العربية في الخليج بتنفيذ المهمة المتفق عليها
فهاجموا البرتغاليين ، وأسروا كثيرين منهم ، ماعدا حاكم مسقط الشيخ
راشد ، الذي كان على خلاف مع شيخ هرمز ، فأعلن خضوعه
للبرتغاليين ولم ينفذ المهمة . وأعطى هذا الفرصة للبرتغاليين
لطلب النجدة من الهند والمقاومة لعدة شهور حتى تصل اليهم
المساعدة . (١)

ووصلت النجدة الأولى بقيادة دوم جونزالو Dom Gonzalo
الذى عزز علاقات البرتغاليين مع حاكم مسقط . وحاول استعادة
الأسرى من بعض موانئ الخليج العربي . (٢)

وفي سنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٢ م ، وصلت النجدة الثانية للبرتغاليين
بقيادة دوم لويز دي منزيس Dom Luiz de Menezes
والذى توقف عند " طيوى " وهاجمها وأوقع بحاكمها الهزيمة . ثم
سار الى مسقط وهاجمها ، بعد أن هرب الشيخ راشد وتركها
للحاكم الفارسي دلا مير شاه . وبعد أن أخضع القائد البرتغالي مسقط

(١) صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ١٩ ،
Milles, op. cit. p.p. 158 -159.

Milles, op. cit. p.p. 159-160. (٢)

بمعاونة الشيخ راشد ، توجه الى صحار ودمرها ، ثم اتجه الى هرمز وقضى على مسببي الانتفاضة وأعاد حكم البرتغاليين الى الجزيرة ، فوضعوها تحت اشرافهم وحكمهم المباشر سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م .^(١)

وفي سنة ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م قامت انتفاضة جديدة من جانب شيخ هرمز وأهالي عمان في مسقط وقلعات ، ووصلت أنباءها الى الهند ، فأبحر لوبوفاز Lopo Vas مع خمس سفن في سنة ٩٣٤هـ (مايو ١٥٢٧م) لقمع هذه الانتفاضة ، فرسا أول الأمر في قلعات حيث عقد صلحا مع أهالي المدينة ووعدهم بإزالة المظالم عنهم . وواصل سيره بعد ذلك الى مسقط ، حيث اتبع نفس السياسة ثم اتجه الى هرمز فخضعت له من جديد .^(٢)

ورغم حركات القمع الشديدة التي مارسها البرتغاليون ضد أبناء الخليج ، الا انهم لم ييأسوا ولم يركسوا الى الاستسلام والضعف ففي سنة ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م قام أهالي البحرين بانتفاضة ضد السيطرة

(١) Milles, op. cit. p.p. 160-161;

لوريير ، نفس المرجع ، ص ١٤ - ١٥ .

(٢) لوريير ، نفس المرجع ، ص ١٥ ؛

Milles, op. cit. p. 163.

البرتغالية . وكان في هرمز آنذاك دوم نونودي كونها^(١)
 Dom Nuno de Cunha الذى عين نائبا للملك في الهند ،
 جاء اليها وهو في طريقه الى الهند ، سنة ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م وأثناء
 وجوده في هرمز اندلع القتال في البحرين ضد البرتغاليين . وحاول
 دى كونها قمع هذه الحركة ، ولكنه فشل فشلا ذريعا ، وقتل في المعركة
 أخوه سيمون دى كونها Simon de Cunha ، فعاد
 أدراجه الى هرمز ومنها الى الهند .^(٢)

ولم يكتف أهالي الخليج العربي بهذه الحركات الجهادية ضد
 البرتغاليين ، بل عملوا على قطع الامدادات عن هرمز ، أكبر معاقلهم
 في الخليج العربي . ففي سنة ٩٩٤هـ / ١٥٨٥م حاول البرتغاليون
 شن حملة بحرية على نخيلوه التي تقع على ساحل الخليج العربي ،
 بعد أن عانوا المتاعب الكبيرة بسبب منع سكان نخيلوه وصول المؤن

(١) Milles, op. cit. p. 164.

(٢) سيد نوفل ، نفس المرجع ، ص ٤٣ ؛

Milles, op. cit. p. 166.

الى هرمز^(١) . وكانت الحملة البرتغالية بقيادة بيتر بيريرا Peter Pereyra ، الذى رافقه كثير من النبلاء وحوالي ستمائة رجل ، ولكنهم قبل أن يصلوا الى الساحل ظهر أهالي نخيلوه على حين غرة ، وأوقعوا بالبرتغاليين الهزيمة ، وقتلوا منهم أكثر من مائتين وخمسين رجلاً ، عدا من غرق منهم^(٢) .

وهكذا فشلت الحملة البرتغالية وانتصر أهالي نخيلوه . وتطلع أهالي الخليج الى قوة اسلامية كبرى تقف الى جانبهم ضد البرتغاليين ألا وهى الدولة العثمانية التى انتصرت على الصفويين وقتذاك ، ودخلت الى العراق ووصلت الى الخليج عبر البصرة .

وقد نتساءل لماذا لم يلجأ سكان الخليج العربى الى الصفويين رغم أنهم حكام دولة إسلامية مجاورة للخليج ؟

الحقيقة أن سكان الخليج العربى نظروا الى الدولة العثمانية على أنها حامية الحرمين الشريفين ، وهى الطبقا وقتذاك للعالم

Sousa, op. cit. Vol . 3. p. 30; (١)

لوريير ، نفس المرجع ، ص ١٨-١٩ .

Sousa, op. cit. Vol. 3. p. 30 . (٢)

الاسلامي في الطمات . يضاف الى ذلك أن الدولة العثمانية فـي القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، كانت دولة عظمى ، ودولة بحرية أيضا لها أساطيلها في البحر المتوسط ، وتستطيع انزال أسطول بحري في الخليج العربي ، عن طريق السويس ، يواجهه الأسطول البرتغالي . هذا بالإضافة الى تفوق العثمانيين على الصفويين من ناحية التسليح الحربي .

ووافق العثمانيون على التدخل لاعانة إخوانهم في الاسلام ، ولأن مصالحهم في الخليج العربي واضحة ومشتركة ، خاصة مواجهة عدوين لهم ، هما البرتغاليون والصفويون .

ولا نستطيع القول بأن استنجد العرب في الخليج بالعثمانيين سنة ٩٥٢هـ / ١٥٥٠م هوفاتحة تدخلهم فيه ، حيث أن استيلاءهم على البصرة في سنة ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م ، كان يعتبر فاتحة تواجدهم الفعلي في هذه المنطقة .^(١)

(١) انظر ما سبق من ١٢٧ ١٢٨٤

وبعد خروج العثمانيين من القطيف سنة ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م ، بعث السلطان سليمان القانوني ، بحملات منظمة من السويس الى الخليج العربي لمواجهة الخطر البرتغالي . وسار على نهجه بقية السلاطين من بنى عثمان حتى عام ٩٨٩هـ / ١٥٨١م .

وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهها بعض الباحثين^(١) الى قادة تلك الحملات العثمانية لعدم تحقيقهم انتصارات حاسمة ضد النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، الا أن هذه الحملات أضعفت ولاشك فلك النفوذ ، وشتت قوى البرتغاليين ، وكانت أحد أسباب انهيار القوة البرتغالية في الخليج العربي مع بداية القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي .

ومن الحملات العثمانية ضد البرتغاليين ، تلك الحملة التي أرسلها السلطان العثماني سليمان القانوني بقيادة القبطان يري محيي الدين رئيس^(٢) - وهو ملاح وجغرافي بارع - وقفه سار يري رئيس بحملته متجهما

(١) Milles, op. cit. p.p. 170-175;

سيد نوفل ، نفس المرجع ص ٤٣٤ ؛ لوريير ، نفس المرجع ، ص ١٧ ، دائرة المعارف الاسلامية مادة بيري رئيس .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة بيري رئيس .

الى الخليج العربي سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥١م مع ستة عشر ألف محارب
وثلاثين سفينة .^(١) وفي طريقه مرّ على عدان واستردها مرة أخرى ، بعد
ذلك الى الشحر ، وهناك فقد عدة سفن له نتيجة عاصفة قويّة
ورسا أخيرا أمام مسقط .^(٢)

وكان الحاكم البرتغالي آنذاك في هرمز ، هو الفارودي نورونها
Alvaro de Noronha الذي وصلته أنباء الحملة العثمانية
فأرسل سفنه للتجسس في الخليج والبحر العربي . ولما تأكد له
الخبر ، بعث الى غوا طالبا النجدة .^(٣)

وحاصر بيرى رئيس مسقط لمدة شهر تقريبا^(٤) ، وقصفها بمدافعهم

Sousa, op. cit. Vol. 2. p. 163, (١)

اسماعيل سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٤٩ ؛
Milles, op. cit. p. 168.

Milles, op. cit. p.p. 168-169; (٢)
دائرة المعارف الاسلامية ، مادة بيرى رئيس .

Sousa, op. cit. Vol. 2. p. 163; Milles , op. cit. p.p. 168-169. (٣)

Sousa, op. cit. Vol. 2. p. 164. (٤)

حتى أجبر حاكمها البرتغالي جون دي لسبوا John de Lisboa على الاستسلام هو والحامية . ثم اتجه بيرى رئيس بعد ذلك الى هرمسز واستولى عليها ماعدا القلعة التي تحصن فيها القائد البرتغالي والستي لم تؤسر فيها المدافع العثمانية . ثم سار بيرى رئيس الى قشم ، نظرا لتحصن كثير من البرتغاليين بها ، واستولى عليها وغنم منها غنائم كثيرة .^(١)

بعد ذلك اتجه أمير البحر بيرى رئيس الى البصرة ، بعد أن أصابت سفنه الكثير من الأضرار^(٢) . وعند ما بلغته أنباء وصول النجدة البرتغالية من غوا ، ترك معظم سفينه في البصرة ، وعاد بثلاث سفن متجها الى البحر الأحمر ، ولكنه فقد احداها عند جزيرة البحرين ثم وصل الى مصر بسفینتين فقط . وهناك جاء الأمر من استانبول بإعداده نظير فشله في مهمته .

لقد اتهم المستشرقون أمير البحر بيرى رئيس بكثير من التهم ، منها ما يذكره مايلز^(٣) Milles ، بأنه بعد استسلام

(١) Sousa, op. cit. Vol. 2. p. 164.

(٢) اسماعيل سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٤٩ .

(٣) Milles, op. cit. p.p. 169-170 .

مسقط ، قام بقتل الأسرى حتى الجرحى والمرضى منهم ، ثم ربط
الباقيين بالسلاسل الى السفينتين ، وأن غرضه الأساسي من الحملة
هو جمع الثروة . واتهم البعض بأنه تلقى الرشوة نظير رفع حصاره عن
هرمز .^(١)

ولاشك أن هذه الإتهامات تحتوى على كثير من المبالغة وتدل على
روح الحقد ضد المسلمين . ويكفى أن المؤرخ البرتغالي سوزا Sousa
الذى يمتلئ كتابه بروح التحامل على الاسلام والمسلمين ، لم يذكر
أى اتهام من هذه الاتهامات ، بل أنه قال في قضية الأسرى بأن بييرى
رئيس قد أجبر القائد البرتغالي المأسور وستين رجلا معه على العمل
كبحارة ، وأنه قد تمت فدية بعضهم فيما بعد ، ولم يذكر أنه قد
قتل أيّاً منهم .^(٢)

ولم توقف الدولة العثمانية حملاتها ضد البرتغاليين ، ففي سنة
٩٦٠هـ / ١٥٥٢م جهزت حملة أخرى بقيادة مراد بك ، الذى كان قد

(١) سيديو ، نفس المرجع ، ص ٤٣٤ ، انظر أيضا دائرة المعارف
الإسلامية ، مادة بييرى رئيس .

Sousa, op. cit. Vol. 2. p. 164 .

(٢)

واجه البرتغاليين مرة في القطيف سنة ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م . وكانت
الأوامر الصادرة الى مراد بك ، تأمره بتجهيز السفن في ميناء البصرة
ل'خروج للقاء البرتغاليين في الخليج العربي . فخرج في سبع عشرة
سفينة ، وعند رأس يسندم ، وقعت معركة بحرية بينه وبين القائد
البرتغالي ديجودي نورونها Diego de Noronha ، فهزم
فيها وقتل عدد من قادة أسطوله ، مما اضطر مراد بك الى الرجوع
الى البصرة ، (١)

وفي سنة ٩٦١هـ / ١٥٥٣م بعث السلطان سليمان القانوني قائدا
أكثر مهارة وخبرة في البحار ، يدعى سيد علي ريس حسين . وهو عالم
فلكي شهير له مؤلفات في علوم البحار ، أشهرها كتاب سماه المحيط .^(٢)

خرج سيد علي رئيس من استانبول الى حلب ، فالموصل ، وبغداد
فالبصرة ، وهناك باشر في اصلاح السفن ، وبنى سفنا جديدة ، وأخيرا

(١) اسماعيل سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٤٩ ،
Milles, op. cit. p. 171

(٢) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٣ ،
Milles, op. cit. p. 172,

اسماعيل سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٤٩ - ٥٥٠ .

أبحر من البصرة في عام ٩٦٢ هـ / ١٥٥٤ م .^(١) وكان الاسطول البرتغالي
ثلاثة أضعاف سفن سيد علي ريس^(٢) بقيادة فرناند يزدي منزيس
Fernandez de Menezes وانطونيو دي نورونها
Antonio de Noronha^(٣) وتقابل الاسطولان العثماني
والبرتغالي مقابل خليج ليمه ، بالقرب من رأس مسندم على الساحل
العماني . ووقعت معركة انتصر فيها المسلمون ، وأغرقوا كثيرا من سفن
الأعداء . ثم تتبع العثمانيون أعداءهم الى مسقط ، ودارت معركة ثانية .
بالقرب منها ، هبت خلا لها عاصفة عاتية شتت سفن سيد علي ريس ،
وجرفت أمامها كثيرا من سفنه ، وصلت الى ميناء شابر ، في مكران على
الساحل الفارسي المطل على خليج عمان .^(٤)

وفي شابر تزود القائد العثماني بالمؤن ، ثم واصل سيره متجهما
الى اليمن ، وقرب ظفار ، هبت عاصفة قوية غربية ، جرفتهم الى سواحل

(١) Cook, op. cit. p. 99; Milles, op. cit. p.p. 172-173.

(٢) اسماعيل سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٤٩ - ٥٥٠ .

(٣) Milles, op. cit. p. 173

(٤) Cook, op. cit. p. 99; Milles, op. cit. p.p. 176-177 .

الهند ، وهناك لجأ سيد علي ريس الى ملك كجرات في الهند ،
وسرح معظم جنده ، وسار مع خمسين من أتباعه قاطعا بلاد الهند سيرا
الى فارس ثم الى الأراضي العثمانية . (١)

وعاود العثمانيون بعد ذلك هجومهم على المراكز البرتغالية فسي
الخليج ، ولكن بشكل متقطع حتي سنة ٩٨٩ هـ / ١٥٨١ م . ففي هذه
السنة وأثناء حكم السلطان مراد الثالث (٢) ، أرسلت الدولة العثمانية
حملة بقيادة الرئيس أمير علي بيك ، الذي كان تحت إمرة الوالي العثماني
في اليمن . وسارت الحملة في أربع سفن الى الخليج العربي . وفي
الطريق فقد الرئيس أمير علي إحدى سفنه ، وأخيرا ألقي مراسيه قرب مسقط .
وبمساعدة عرب مسقط استطاع أن يحاصرها .

وجاءت النجدة الى البرتغاليين في مسقط من هرمز بقيادة لويس
دي الميدا Luiz de Almeyda مع ثمانين سفن . وبدلا من
أن يهاجم القائد البرتغالي العثمانيين ، سار الى موانيء جوادروتييس

(١) اسماعيل سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٥٠ - ٥٥٦ ،
Milles, op. cit. p.p. 177- 178.

Cook, op. cit. p.p. 99-100 . (٢)

على ساحل مكران ونهبها ودمرها . (١)

واستطاع أمير علي بيك أن ينزل بالبرتغاليين هزيمة ساحقة فسي سقط . وبعدها سار إلى عدن ، ومن ثم إلى شرق أفريقية . وهناك هاجم المراكز البرتغالية في مباسا ، وماليندي . وفي إحدى المعارك هناك سنة ١٥٨٩ هـ / ١٥٨٩ م وقع الرئيس أمير علي في أسر البرتغاليين ، فأرسلوه إلى لشبونة حيث حاولوا تنصيره بالقوة ، ومات هناك نتيجة التعذيب (٢) .

هذه هي أهم الحملات العثمانية إلى الخليج العربي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . ولعل السبب الرئيسي في عدم قدرة العثمانيين القضاء على البرتغاليين نهائيا في الخليج العربي هو بعد مراكز بناء الأساطيل العثمانية في البحر المتوسط عن المحيط الهندي والخليج العربي ، وصعوبة نقل الأخشاب لتصنيع السفن في البصرة . (٣)

كما أن تفكك العالم الإسلامي وانتشار المنازعات فيه ، أعاق قيام

(١) Milles, op. cit. p. 181 ;

لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٨ - ١٩ .

(٢) Milles, op. cit. p. 181.

(٣) Cook, op. cit. p.p. 99- 100;

صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ٢٠ .

تحالف اسلامي بين العثمانيين والصفويين ، وامبراطورية الهند المغولية
الاسلامية . ولو حدث مثل هذا التحالف ، لتمكن المسلمون وقتذاك من
القضاء على البرتغاليين نهائيا في المحيط الهندي . (١)

أما عن موقف الصفويين من النفوذ البرتغالي في الخليج العربي
فقد كان لتطور العلاقات بين العثمانيين والصفويين أثره الكبير في
موقف الصفويين من النفوذ البرتغالي في الخليج العربي .

كان اعلان الشاه اسماعيل الصفوي المذهب الشيعي مذهباً
لدولته سنة ٩٠٦هـ / ١٥٠٠ م ، سببا في اضطهاد أعداد كبيرة من
أهل السنة داخل دولته وخارجها . (٢) وأتاحت عطيات الاضطهاد
هذه ، تكوين آراء ضد اسماعيل الصفوي ومذهبه تنادي بأن مذهبهم
يهدف الى الاضرار بالمسلمين عامة . (٣)

Milles, op. cit. p. 171.

(١)

(٢) النهروالي ، الاعلام ، ص ٢٧٥-٢٥٩ ،

Savory, Safavid persia, in The Cambridg history
of Islam, Vol. 1. p.p. 398- 399.(٣) الشيلي ، السنا الباهر ، ورقة ٤٤ - ٤٥ ، النهروالي ، البرق اليماني
ص ٢٧٥ ، الغزى ، الكواكب السائرة ، ج ١ ، ص ٢٠٩ ، ابن العماد
شذرات الذهب ، ص ٨٦-٨٧ .

وانتشرت هذه الآراء بعد أن أخذ الشاه اسماعيل في توسيع حدود دولته غرباً ، فاستولى على العراق ، ومد نفوذه إلى شمال الشام والأناضول . كما يحمل الشاه اسماعيل على نشر مبادئ مذهبه داخل أراضي الدولة العثمانية ، مما جعل الدولة العثمانية السنية تعتبر هذا عدواناً سياسياً سافراً ضدها . ^(١) يضاف الى ذلك أن استجداد أهل السنة بالدولة العثمانية كان سبباً لأن تشن الدولة العثمانية الحملات ضد الصفويين ، وتنزل بهم الهزائم المتتالية .

وبحث الصفويون عن حليف قوى يساعدتهم ضد الدولة العثمانية ، حتى لو كان هذا الحليف من الصليبيين أعداء الإسلام . وحاول الشاه اسماعيل الصفوى التحالف مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية بعد هزيمة شالديران سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٤ م منتهزاً عداوتها مع مسيحيي ضد العثمانيين . ^(٢) وفي سنة ٩٢١هـ / ١٥١٥ م أرسل الشاه اسماعيل رسوله إلى البوكرى ، الذى كان قد جاء إلى هرمز لإخضاعها مرة أخرى ،

(١) Cook, op. cit. p.p. 64-65 ; Savory, op. cit. p.p. 399- 400;

اسماعيل سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٢٥ - ٥٢٦ ، عبدالعزيز نوار ، العلاقات العراقية الايرانية ، ص ١١ .

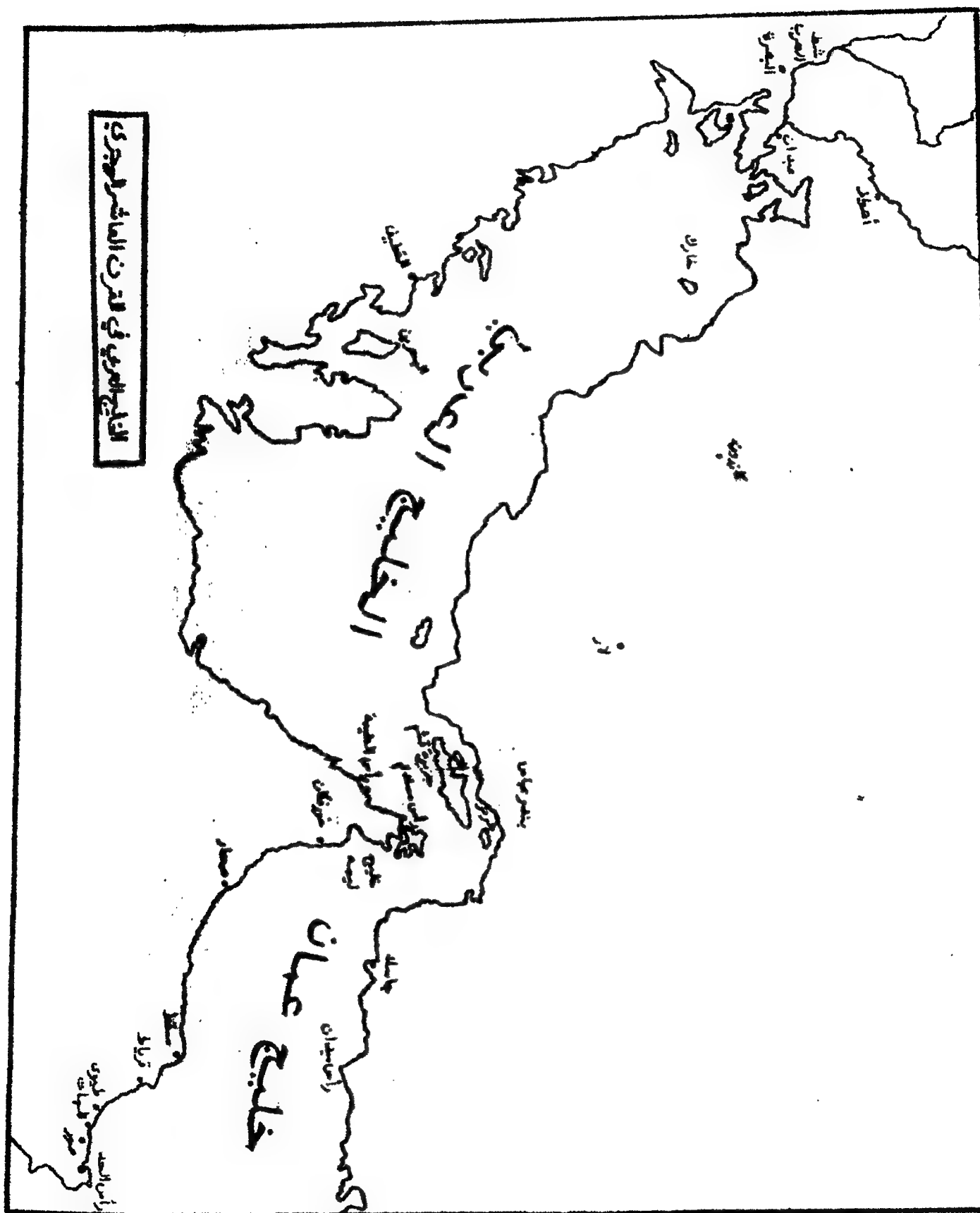
(٢) عبدالعزيز نوار ، تاريخ العرب الحديث ، ج ١ ، ص ٧٠ .

يطلب من البرتغاليين مساعدته ضد الدولة العثمانية ، وقيام تحالف بينهما . كما طلب الشاه اسماعيل من البوكيرك تقديم سفن برتغالية لتمكنه من غزو البحرين والقطيف في مقابل أن يتنازل للبرتغاليين عن ميناء جوادر على ساحل بلوخرستان . ولم يتم هذا التحالف نظرا لموت البوكيرك ^(١) .

أما المحاولة الثانية لقيام تحالف بين الصفويين وبين أعداء الدولة العثمانية في الخليج العربي ، فكانت في نهاية القرن العاشر الهجري عندما اعتلى عرش فارس الشاه عباس الصفوي (٩٩٦ هـ - ١٠٣٨ هـ - ١٥٨٧ م - ١٦٢٩ م) . فبعد أن أخذت شمس البرتغاليين في الأفول تحالف الشاه عباس مع الانكليز ووجد فيهم عملاء أفضل من البرتغاليين ، فمنحهم إمتيازات تجارية في الخليج العربي وسمح لهم بإقامة وكالة تجارية لهم في جاسك على الساحل الفارسي ، على أن يمدوا فارس بالمعونة الحربية ، كما سمح للنصارى بالإقامة في ضاحية مستقلة من ضواحي اصفهان ^(٢) .

-
- (١) صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ١٧ - ١٨ ، لوريير ، نفس المرجع ، ص ١٤ .
 (٢) صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ٢٣ - ٢٤ ، عبد الغصيم حسنين ، نفس المرجع ، ص ٢٤ .

هذه السياسة التي اتبعها الشاه عباس ، مهدت لتنافس القوى
الأوربية للسيطرة على تجارة الخليج ، بعد أن أخذ نفوذ البرتغاليين
في الاضمحلال في نهاية القرن العاشر الهجرى .



الفصل الرابع

نتائج النفوذ البرتغالي في الخليج
العربي في القرن العاشر الهجري

١- محاولات البرتغاليين السيطرة على تجارة
السلع الشرقية وحجب وصولها إلى موانئ مصر
والشام.

٢- تحالف البرتغاليين مع الأجانب ضد
القوى الإسلامية.

٣- بداية التنافس بين القوى الأوربية للسيطرة
على تجارة الخليج العربي

(١) محاولات البرتغاليين السيطرة على تجارة السلع الشرقية

وحجب وصولها الى موانئ مصر والشام

٥٥

أشرنا في الفصل الثالث الى محاولة البرتغاليين الهجوم على الشحر التي تمثل مركز الجنوب العربي بعد عدن في الأهمية التجارية، لكي يؤمنوا وجودهم في الخليج العربي ، ولكي يقطعوا الطريق على العثمانيين أثناء مهاجمة مراكزهم في الخليج .

وأدرك البرتغاليون بأن تأمين وجودهم في الخليج لا يتأتى الا بمهاجمة البحر الأحمر الذي يمثل أهم مراكز القوة العثمانية .

ودافع العثمانيون عن البحر الأحمر بشراسة نظرا لأن الأماكن المقدسة في الحجاز تطل على ذلك البحر ، وحاولوا انقاذ الخليج العربي من براثن البرتغاليين بشن الحملات اليه من البحر الأحمر.

هاجم البرتغاليون موانئ البحر الأحمر وخاصة الموانئ الواقعة في مدخله ، وحققوا بذلك بعض ما أرادوه حيث أعاقوا وصول كثير من المتاجر الى موانئ مصر ، ولم يستطع البرتغاليون منع وصول المتاجر الشرقية منصا تاما - خاصة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجرى - نظرا لضراوة المقاومة العثمانية .

وكما خطط البرتغاليون لمهاجمة مدخل البحر الأحمر ، قاموا أيضا بالتحالف مع الأحباش ضد القوى الإسلامية التي تطل على البحر الأحمر . فالشاطئ الشرقي لأفريقية لم يكن له فائدة تجارية بالنسبة للبرتغاليين سوى الحصول على الذهب والعاج وتأسيس قاعدة لهم على طريق الشرق . (١)

أما الهدف الأساسي للبرتغاليين من التحالف مع الأحباش ، فهو تكوين تحالف صليبي لتشتيت وإضعاف القوى الإسلامية في شرق أفريقية ، وكذلك قوة الدولة العثمانية حتى تتراخي قبضة المسلمين على البحر الأحمر .

(١) Chttik. The East Coast Madagascar and the Indian Ocean, in Cambridge History of Africa, Vol. 3. p. 227.

أدرك العثمانيون بعد سقوط سلطنة المماليك سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م أهمية اليمن ومدخل البحر الأحمر بالنسبة لتجارة البرتغاليين ، واصرارهم على مهاجمة الأماكن الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة . ولم يطمئن السلطان سليم العثماني لولاء القوات المملوكية باليمن رغم إعلان قائدها اسكندر الجركسي الولاء للدولة العثمانية ، ورغم توليه حكم اليمن بتفويض من السلطان سليم نفسه ^(١) . لذلك عين السلطان سليم من قبله حسين الرومي واليا عثمانيا على جدة لمراقبة الاوضاع في البحر الأحمر . ^(٢)

يضاف الى ذلك أن الأشراف في الحجاز أعلنوا خضوعهم للدولة العثمانية مما سهّل للعثمانيين مهمة المقاومة في البحر الأحمر ضد البرتغاليين .

وفي سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧ م شن البرتغاليون حملة على مدخل البحر الأحمر بقيادة لوبو سواريز Lopo Soares خليفة البوكيرك

(١) النهر والي ، البرق اليماني ، ص ٣٣ ، يحيى بن الحسين ، غاية الالمانى ، ج ٢ ، ص ٦٥٦ ، عبد الحميد البطريق ، من تاريخ اليمن الحديث ص ٢٢

(٢) البطريق ، نفس المرجع ، ص ٢٢ - ٢٣ .

الذى سار الى جدة للاستيلاء عليها^(١) ، واستعد القائدان التركيان فسي
جدة سلمان ريس وحسين الرومي لمواجهة هذا الخطر البرتغالي بعد
أن وصلتتهما أنباء الحملة . وطاردا البرتغاليين حتى كمران ، واستوليا
على واحدة من سفنه ، وعادا إلى جدة ، وأرسلا الأسرى إلى السلطان
العثماني^(٢) . وفي كمران لم يستطع سواريز البقاء طويلا ، فأبحر إلى
زيلع وأحرقها ، ثم عاد إلى عدن وحاصرها . ولما واجه مقاومة شديدة
بها عاد إلى هرمز ثم إلى غوا في الهند .^(٣)

وفى سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م جاء البرتغاليون إلى عدن في حملة
أخرى بقيادة دييجو لوبيز دى سيكيرا ، ورسا أول الأمر في دهلك ، فوصلت
أخباره إلى حسين الرومي النازل في زبيد فأسرع إلى جدة للدفاع عنها^(٤) .

(١) Serjeant, op. cit. p. 17;

محمد البحراوى ، نفس المرجع ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤٩ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية
الأمانى ، ص ٦٥٨ .

(٣) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤٣ ؛ محمد البحراوى ، نفس
المرجع ، ص ٨٠ .

Serjeant, op. cit. p. 17.

(٤) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص ٦٦٣ .

Serjeant, op. cit. p. 18.

واستجسد الشريف بركات بالدولة العثمانية ، فبعث اليه والي مصر
بنجدة كبيرة الى جدة .^(١)

ولما وصل القائد البرتغالي الى جدة وقد تحطمت بعض سفنه
بفعل العاصفة ، وجد مقاومة العثمانيين العنيفة واستعداداتهم
الضخمة ، فعاد هاربا الى جزر دهلك ثم عدن فزوده حاكمها مرجان
الظافري بالمؤن وأقلع متجها الى الهند .^(٢)

ورد العثمانيون على المحاولات البرتغالية المتكررة بأن علموا على
تنظيم الشؤون البحرية والادارية بميناء السويس ، وجعلوه قاعدة
كبرى لشن حملاتهم في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط
الهندي .^(٣)

ولم يستقر الأمر طويلا للعثمانيين في اليمن حيث اشتدت المنازعات

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٣١٣ ، ابن طولون ، مفاكهة
الخلان ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

(٢) يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ص ٦٦٣ .

(٣) Cook, op. cit. p. 90 ; Shaw, op. cit. Vol. 1. p. 100

بينهم وبين بقايا الماليك والزعماء من أهالي البلاد حتى سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨ م ، حين تواترت الأنباء الى السلطان العثماني سليمان القانوني بازدياد هجوم البرتغاليين على عدن ، وازدياد هجماتهم على المسلمين في سواحل الهند . فأمر السلطان سليمان القانوني والي مصر سليمان باشا الخادم ببناء أسطول جديد في السويس للتصدي لهم في اليمن وفي المحيط الهندي .^(١)

وفي اليمن استطاع سليمان باشا الخادم أن يخضع عدن للعثمانيين ويقتل حاكمها عامر بن داود الطاهري ، ويولي واليا عثمانيا من أتباعه . وبعد عودته من الهند ، أخضع مخا والصليف وجيزان كما حصّن جزيرة كمران .^(٢)

(١) النهروالي ، البرق اليمني ، ص ٧٠-٧١ ، السيد رجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ، ص ٧٤-٧٥ .

(٢) النهروالي ، البرق اليمني ، ص ٨٠-٨١ ، يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ص ٦٨٤ ، السيد رجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ، ص ٧٥ ، فاروق اباطة ، عدن والسياسة البريطانية ، ص ٥٣ .

وفي سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م قاد ستيفن دى جاما _____
 Stephen de Gama حاكم الهند البرتغالي حملة كبرى الى البحر
 الأحمر مع أخيه كريستوفر لمهاجمة معاقل الأتراك . وقد رسا أول الأمر
 في مصوع ثم سار إلى سواكن فاستقبله حاكمها خوفا من أن يدمر ستيفن
 دى جلما المدينة . وانتهاز حاكم سواكن الفرصة وأرسل انذارا الى
 العثمانيين في السويس يخبرهم بقدوم البرتغاليين . فلما سار القائد
 البرتغالي الى السويس وجد استعدادا ضخما من العثمانيين لمواجهته ،
 وفاجأوه وأوقعوا به الهزيمة ، وتراجع البرتغاليون الى مصوع ، وبذلك
 فشلت هذه الحملة البرتغالية إلى البحر الأحمر أيضا .^(١)

ولم يترك البرتغاليون أية فرصة تمنح لهم للاستيلاء على عدن
 مفتاح البحر الأحمر . ففي سنة ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م استغل أحمد
 الأمراء المحليين في اليمن - وهو علي بن سليمان البدوي أمير خنفر -
 إشغال العثمانيين بالحروب في شمال اليمن ، فاستولى على عدن وسعى

(١) Sousa, op. cit. Vol. (2).p.p.12 - 23 ؛

السيد رجب حراز ، ارتريا الحديثة ، ص ٢٩ .

إلى التحالف مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية .^(١) وأرسل والي مصر داود باشا حملة كبرى إلى عدن استولت عليها ، وقتلت علي بن سليمان البدوي سنة ٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م . أما البرتغاليون فجاءوا إلى عدن متأخرين حيث وجدوا حليفهم قد انتهى أمره .^(٢)

وفي سنة ٩٧٦ هـ / ١٥٦٨ م حاول قاسم بن شويح أمير عدن - الذي ينتمي إلى طائفة الزيدية - التحالف مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية ، فاستدعى عشرين منهم إلى قلعة عدن وأراهم قوة التحصينات في مدينة عدن ، وطلب منهم مواجهة العثمانيين من ناحية البحر بينما يقوم هو بمنازلة العثمانيين برا . وتم الاتفاق بين الطرفين على إرسال قوة عسكرية برتغالية من غوا لمساندة قاسم بن شويح ضد الدولة العثمانية . وجردت الدولة العثمانية حملة بقيادة الأمير خير الدين القبطان وأخيه الأمير سنان لاسترداد عدن من أيدي الأئمة الزيدية في اليمن .

(١) ابن المطهر ، روح الروح ، ورقة ٣٤ ، النهروالي ، البرق اليماني ص ١٠٠ - ١٠١ ، العبدلي ، هدية الزمن ، ص ٩٩ .

(٢) النهروالي ، البرق اليماني ، ص ١٠٠ - ١٠١ ؛ Serjeant, op. cit. p. 20 .

ووصل القائدان العثمانيان إلى عدن قبل وصول القوة البرتغالية،
وطسارذ الأمير خير الدين القبطان السفن البرتغالية حتى ولّت فـرارا
وعاد إلى عدن واستردّها بعد قتل قاسم بن شويح . (١)

وفي أثناء فترة حكم نائب الملك في الهند دوارت دى مينيزيس
Dourt de Meneses (١٥٨٤م - ١٥٨٨م) هاجم القائد
البرتغالي كامارا Camara مدخل البحر الأحمر وتوغل فيه
حتى جزيرة كمران ، ولكن العثمانيين تصدوا له عند الجزيرة وشتتوا
سفينه ، فعاد إلى هرمز قجبر أن يال الفشل . (٢)

وهكذا استطاع العثمانيون أن يحافظوا على البحر الأحمر بحرية
إسلامية رغم أن البرتغاليين كانت لهم مراكز تموين لسفنهم قريبة جداً
من البحر الأحمر في الخليج العربي . ولا شك أن البرتغاليين استغلوا
نفوذهم في الخليج العربي لتدمير طريق التجارة المار في البحر الأحمر عن
طريق مهاجمة المراكز البحرية العثمانية المطلّة عليه ، وممارسة أعمال

(١) النهروالي : البرق اليماني ، ص ٢٤٩ - ٢٥٣ .

(٢) Souba, op. cit. Vol. 3. p.p. 29- 30 .

القرصنة عند مدخله وعلى سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية كما سبق أن ذكرنا .^(١)

ولمواجهة خطر تلك المحاولات التي قام بها البرتغاليون للسيطرة على تجارة السلع الشرقية ، قام العثمانيون بعدة جهود لعرقلة النشاط التجاري البرتغالي في المحيط الهندي ، ولفك الحصار الذي فرضه البرتغاليون على طرق التجارة المارة عبر الخليج العربي والبحر الأحمر . ومن هذه الجهود تلك الحملة التي قام بها الأمير مصطفى الرومي من مخا في اليمن إلى جزيرة ديو قرب الساحل الهندي سنة ٩٣٨هـ / ١٥٣١ م . وكانت ديو تابعة لسلطان كوجرات بهادر شاه ، وولى عليها توغن بن مالك اياس . فلما وصل الأمير مصطفى الرومي إلى ديو أكرم وفادته السلطان بهادر شاه وولاه حكم جزيرة ديو ولقبه رومي خان . وفي جزيرة ديو تصدى الأمير مصطفى لكثير من الغارات التي شنّها نائب البك البرتغالي في الهند نونودي كونهـ ليين Nuno de Cunha (١٥٢٩-١٥٣٨ م) ، وانزل بالبرتغاليين هزائم متتالية .^(٢)

(١) انظر ما سبق ص ١٢٩-١٣١/١٥٨٦-١٦٥

(٢) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٥٧ ، النهر والي ، البرق اليمني

وفي سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٤ م دخل بهادر شاه حاكم كوجرات بالهند في حرب مع سلطان الدولة المغولية الإسلامية همايون^(١). فلما رأى بهادر شاه الخطر محدقا به استنجد بنونودي كونها نائب الملك البرتغالي في الهند ، وعقد معه معاهدة تنازل له بموجبها عن عدة موانئ ، وسمح له ببناء قلعة برتغالية في ديو . وبناء على هذه المعاهدة تم بناء القلعة البرتغالية سنة ٩٤٢-٩٤٣هـ / ١٥٣٥ م^(٢). وبعد زوال خطر همايون عن مطقة كوجرات ، نقض بهادر شاه معاهدة الصلح ودخل في حرب مع البرتغاليين فهزموه وقتل فسي المعركة سنة ٩٤٣هـ / ١٥٣٦ م وبذلك استولى البرتغاليون على جزيرة ديو .

وعندما بلغت هذه الأخبار أسماع السلطان سليمان القانوني أمر واليه على مصر سليمان باشا الخادم بمنازلة البرتغاليين فسي المحيط الهندي . ووصل سليمان باشا إلى الهند في سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٨ م في مائة سفينة وعشرون ألف جندي . وبادر سليمان باشا

(١) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٥٨ - ٥٩ ، جمال الدين الشيال ، دولة أباطرة المغول في الهند ، ص ٤٧

(٢) Serjeant, op. cit. p.p. 18-19; Macgregor, op. cit. p. 607; Cook, op. cit. p. 90.

الخادم إلى حصار جزيرة ديو . وهناك وقع الخلاف بينه وبين محمود شاه ، حيث اعتقد ملك كوجرات أن سليمان طامع في مملكته ولم يأت للمشاركة في قتال البرتغاليين . ورفض التعاون مع سليمان باشا وامتنع عن إمداده بالمؤن ، لذلك بادر القائد العثماني إلى رفع الحصار والعودة إلى اليمن ثم السويس .^(١)

وهكذا أدت الشكوك المتبادلة بين بعض الحكام المسلمين وسوء تصرفاتهم في الأوقات الحرجة إلى نتائج وخيمة أهمها ضياع جزيرة ديو منهم ، وبالتالي زيادة السيطرة البرتغالية على الساحل الهندي .

وعلى الرغم من الصعوبات التي لقيها العثمانيون في تجهيز أساطيلهم للتصدي للنفوذ البرتغالي في الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي ، نظرا لبعده هذه المناطق عن مراكز الاساطيل العثمانية الكبرى في البحر المتوسط .

(١) النهر والي ، البرق اليمني ، ص ٨٢-٨٤ ؛ اسماعيل سرهنك ،

نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٥٤٨ ؛

Inalcik, op. cit. p.p. 126-127, Shaw, op. cit.

Vol. 1. p. 100.

وعلى الرغم من فشل العثمانيين في تحطيم السيطرة البرتغالية على المحيط الهندي ، الا أنهم استطاعوا بدون شك عرقلة النشاط التجاري للبرتغاليين ، وأدى ذلك إلى فشل محاولات البرتغاليين السيطرة الكاملة على تجارة السلع الشرقية المارة عبر موانئ مصر والشام .

وقد رأينا أن الغزو البرتغالي للخليج العربي قد حوله إلى مخزن للتجارة فقط ، ودمرت معظم موانئه وأهمها هرمز التي أصبحت قاعدة للعمليات الحربية . وكان لهذا كله أبلغ الأثر على كميات السلع الشرقية المنقولة إلى الشام عبر الخليج العربي .

وتجدر الإشارة إلى أن التجارة المارة عبر الخليج العربي أخذت في الانبعاث من جديد في حوالي منتصف القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، نظرا لرد الفعل الاسلامي المضاد سواء من أبناء الخليج أو من العثمانيين .

ففي عام ٩٥٧هـ / ١٥٥٠ م أصبحت حلب القريبة من شاطئ البحر المتوسط مركزا تجاريا مزدهرا بما وصل إليها من تجارة الهند عن طريق العراق وايران . وجاءتها كميات هائلة من التوابل والحريير .^(١)

كما أن البصرة أصبحت المصدر الرئيسي للبضائع الهندية المارة بالعراق وعاد التجار الأوروبيون يتعاملون مع مراكز التجارة في سواحل الشام ومصر ، ففي السنوات ما بين ٩٦٨-٩٧٢هـ / ١٥٦٠-١٥٦٤م اشترى البنادقة سنويا من ميناء الاسكندرية اثني عشر ألف قنطار (١٢٠٠٠) من التوابل ، وهي كميات تعادل ما كان يشتريه البنادقة قبل اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح .^(١)

الا أن هذا الانبعاث للتجارة المارة في الخليج والبحر الأحمر لم يدم طويلا ، ففي نهاية القرن العاشر الهجري ، بدأت قوى بحرية أعظم من القوة البرتغالية تدخل إلى هذين المعبرين ، وتفرض سيطرتها على أهم المراكز بهما ، ومن هذه القوى الشركات التجارية الهولندية والانكليزية .^(٢)

Inalcik, op. cit. p. 127. (١)

Cook, op. cit. p.p. 122-123. (٢)

(٢) تحالف البرتغاليين مع الأحباش ضد القوى الإسلامية

٥٥

ويعتبر تحالف البرتغاليين مع الأحباش أثرا من آثار النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري . وتجدر الإشارة هنا إلى القوى الإسلامية في شرق أفريقيا قبل قدوم البرتغاليين .

تشبعت الحبشة بالأفكار الصليبية في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، لذلك جعلت من جيرانها مسلمي الطراز أعداءها الألداء . وواجه المسلمون في شرق أفريقيا كثيرا من اضطهاد ملوك الحبشة بإثارة روح الجهاد في سبيل الله ضدهم . واستطاع المسلمون بفضل هذه الروح القوية الصمود قرونا طويلة أمام جيوش الأحباش الصليبيين ، بل انتصروا عليهم في فترات كثيرة .

ولو تتبعنا حالة مسلمي الطراز في القرن التاسع الهجري لوجدناها تتأرجح بين القوة والضعف ، حسب حالة الوحدة القائمة بين الدويلات الإسلامية ، أو قيام امارة مترعة تقود حركة الجهاد ، هذا فضلا عن الوضع الجغرافي الصعب الذي يسود مناطق المسلمين ،

فهم يقيمون في مساحات شاسعة رديئة المواصلات تتخللها القبائل البدوية ، مما صعب عطية جمع الجيش وتعبثته . (١)

وفي بداية القرن التاسع الهجري قام امبراطور الحبشة اسحاق الأول (١٤١٤م - ١٤٢٩م) بهجوم شامل على مناطق المسلمين وأوقع بهم هزائم كثيرة ، وعمل على اضطهادهم حتى وصلت أخباره إلى السلطان المملوكي برسباي في مصر ، فغضب لما حل بالمسلمين هناك وحبس بطريق القبط في مصر وهدده بالقتل لو حاول الاتصال بملك الحبشة إلا بأن من السلطان ، كما أمر باغلاق كنيسة القيامة انتقاماً لما حل بالمسلمين على أيدي الأحباش . (٢)

واستمر خلفاء اسحاق على هذا المنوال فخرى زرع يعقوب (١٤٣٤ - ١٤٦٨م) ينكل بالمسلمين كما فعل اسلافه ويشن عليهم حرباً دامية ،

(١) عبد الله الحبيد ، سفارة الامام المتوكل ، مجلة كلية الشريعة ،

العدد ٣ ، السنة ١٣٩٨/٩٧ هـ ، ص ١٦٠ .

(٢) المقرئ ، السلوك ، قسم ١ ، ج ٤ ، ص ٤٩٣ - ٤٩٤ ،

عبد المجيد عابدين ، نفس المرجع ، ص ١٧٩ - ١٨٢ .

فهاجم سلطنتي اوقات وعدل وأصبحت الممالك الاسلامية تدفع الجزية لامبراطور الحبشة .^(١) الا أن هذا الأمر لم يستمر طويلا ، فبعد موت زراء يعقوب أخذ المسلمون في تجميع قواهم مرة أخرى وشن حرب جديدة ضد الحبشة . وأخذت عدل دور القيادة في القوة الجديدة ، فقد ظهر فيها قائد قوى هو الإمام محفوظ الذي كان يهدف إلى استعادة المدن على الحدود الشرقية للحبشة ، وهي ايفات ، وفيتجارو ، ودوارو وبالي . وقد هاجمها محفوظ وانزل هزائم كبيرة متتالية بالأحباش في عهد ملكي الحبشة اسكندر (١٤٧٨ - ١٤٩٤) وناعود (١٤٩٤ - ١٥٠٨) وقتل ناعود وهو يدافع عن مقاطعة ايفات في مواجهة الامام محفوظ .^(٢)

وفي أواخر القرن التاسع الهجري جاء البرتغاليون الى شرق أفريقيا بعد عبورهم رأس الرجاء الصالح ، وهي فترة حرجة جدا واجهه

(١) السخاوي ، ذيل السلوك ، ص ٧١ - ٧٢ ؛ عبدالله الحبيد ، سفارة الامام المتوكل ، ص ١٧ ؛ عبد المجيد عابدين ، نفس المرجع ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

الأحباش انبعثت القوة الإسلامية .

ورغم قيام بعثات كشفية برتغالية الى بلاد الحبشة قبل دخول البرتغاليين إلى الشرق ، إلا أنه بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح في القرن العاشر الهجري بدأ البرتغاليون اتصالاتهم الفعلية مع ملكة برسترجون المسيحية .

وعندما وصل فاسكودى جاما إلى الساحل الشرقي لإفريقية فسي رحلته بدأ في البحث عن هذه المملكة ، فلم يجد إلا الممالك الإسلامية على الساحل لذلك عامل هذه المدن بكل قسوة ووحشية . وعندما تركها بحث رجاله لاكتشاف بلاد برسترجون (١) .

وفي سنة ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م أجبر البرتغاليون سكان جزر زنجبار ومبما ومافيا على دفع الجزية ، وفي سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م استولى الميدا أول نائب ملك في الهند على سفاله ، وكلوه ومباسا .

وفي سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦ م دثر تريستان دى كونها
 Tristan de Cunha والبوكيرك الموانيء الشمالية وهى لامو
 واجا وبراوا ، وأجبروا سكانها على الخضوع للبرتغاليين^(١) . وهنـا
 اقرب البرتغاليون من الحبشة التي كانت تواجه الزحف الاسلامي
 عليها .

وكما ذكرنا سابقاً فإن الأمير محفوظ كان يهدد الحدود الشرقية
 للحبشة ، وقد قتل الملك ناعود في إحدى هذه الحروب .

وفي سنة ٩١٨هـ/١٥١٢ م تولى عرش الحبشة الملك الطفل لبنـا
 دنجل Lebna Dengel ، وكانت الوصية عليه أمة الملكة
 هيلين Eleni التي سعت في قيام تحالف صليبي بين الحبشة
 والبرتغاليين . وارسلت هيلين رسولا لها يدعى ماثيو Mathieu
 الى البوكيرك نائب الملك في الهند عرض عليه رغبة الملكة في القيام
 بعمل مشترك مع البرتغاليين للاستيلاء على الحجاز ومصر ، وطلب منه
 تزويدها بأسطول قوي يعمل ضد القوى الإسلامية في البحر الأحمر.^(٢)

Serjeant, op. cit. p. 14

(١)

(٢) أحمد دراج ، الممالك والفرنج ، ص ١٣٨ - ١٣٩ ؛ محمد البحراوى

نفس المرجع ص ٦٤ - ٦٥ .

ثم سافر المبعوث الحبشي ماثيو إلى البرتغال ، وهناك وجد التأييد التام لمطالب الملكة من قبل ملك البرتغال مانويل (١٤٩٥ - ١٥٢١ م) فقد وجد البرتغاليون في هذا الحلف مساعدا لمخططاتهم في البحر الأحمر خاصة الاستيلاء عليه من أيدي العثمانيين أو فرض سيطرتهم على مدخله وتحطيم تجارته .

وأرسل الملك مانويل بعثته التي تحمل الجواب إلى الملكة ولكنها لم تصل إلا في سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م . وفي تلك الأثناء أصبح لبنادنجل امبراطوراً على الحبشة خلفاً لوالدته هيلين . ونظراً لانتصاره على الأمير محفوظ فقد تنصل من مسئولية البعثة الحبشية ، وعادت البعثة البرتغالية دون إبرام معاهدة تحالف بين البرتغال والأحباش . (١)

وفي عهد الامبراطور لبنادنجل ظهر الإمام أحمد بن ابراهيم القرين الذي اتسع سلطانه على حساب ملكة الحبشة .

(١) عبد الله الحبيد ، سفارة الإمام المتوكل ، ص ١٩ ،
Tamrat, op. cit. p. 181.

وتعتبر دولة الإمام أحمد بن إبراهيم القرين مظهراً من مظاهر
إنبعاث القوة الإسلامية في شرق أفريقية في القرن العاشر الهجري
خاصة أن الإمام أحمد القرين لعب دوراً هاماً في التحالف الإسلامي
مع العثمانيين .

ففي سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦ م قتل الإمام محفوظ وقامت المنازعات
على السلطة في ملكة عدل . واستغل الأحباش الفرصة وشنوا هجمات
متعددة على الدويلات الإسلامية وعطوا على تدميرها ونهبها وأسروا أعداداً
كبيرة من المسلمين . وقد تصدت لهم قوات من جيش عدل بقيادة أحمد
ابن إبراهيم الذي استطاع بشجاعته وجهاده أن يخلف الملك أبوبكر
ابن محمد الحاكم الفعلي في الملكة . وعمل أحمد بن إبراهيم على
تكوين جيش قوى ضخم من القبائل الصومالية . وما أن جاءت سنة
٩٣٦هـ / ١٥٢٩ م حتى كَوَّن الإمام أحمد دولة قوية ذات نفوذ وعلى
استعداد لخوض غمار حرب طويلة مع الأحباش . (١)

واستولى الإمام أحمد على مناطق فيتجارو ، ودبارو وايفات ، وبالي
وشوا ، حتى وصل إلى نهر أوأش Awash ، ثم أمهررا
ولاستا . وأصبح الإمبراطور لبنادنجل طريداً فاراً أمامه من موقع

إلى آخر . ووصل الإمام بذلك إلى قلب أراضي الإمبراطورية الحبشية المسيحية ، وامتدت مملكته من البحر الأحمر شرقا حتى كسلا غوبا .^(١)

وأرسل الطك لبنادنجل سنة ٩٤٢هـ / ١٥٣٥ م طالبا النجدة من البرتغاليين . ولبي البرتغاليون الطلب فبعث ستيفن دي جاما Stephen de Gama نائب الطك في الهند - الذي كان يقود حملة إلى البحر الأحمر - أخيه كريستوفر Christopher لنجدة الإمبراطور . وفعلا وصل القائد البرتغالي مع أربعمئة رجل سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١ م إلى الحبشة .^(٢)

وصلت إلى الحبشة النجدة البرتغالية التي طلبها الإمبراطور ، الحبشي للانضمام إليه في مقاومة الإمام أحمد الذي كان في ذلك

(١) Tamrat, op. cit. p.p. 173-174, Serjeant, op. cit. p. 19;

عبدالله الحبيد ، سفارة الامام المتوكل ، ص ١٨-١٩ .

(٢) Sousa, op. cit. Vol. 2. p.p. 54- 55; Tamrat, op. cit. p. 181;

عبدالله الحبيد ، سفارة الامام المتوكل ، ص ١٩ .

الوقت في مقاطعة التيجرى الشمالية . وحقق البرتغاليون مع الأحباش
انتصارات أولية على الإمام حتى أجبروه على الهرب إلى جبال
زابول .^(١)

ومن هناك أرسل الإمام أحمد بن إبراهيم يطلب المساعدة من
العثمانيين الذين كانوا قبل ذلك قد استولوا على سواكن وزيلع .
وقبل العثمانيون التحالف مع الإمام أحمد بن إبراهيم القرين ومد يد
العون له ضد البرتغاليين وحلفاءهم الأحباش . فعندما تلقى الباشا
العثماني مصطفى النشار (٩٤٧ هـ - ٩٥٢ هـ) في زبيد طلب المساعدة
أرسل إلى الإمام ألف جندي عثماني مزودين بالبنادق وعشرة مدافع .^(٢)

وفي معركة أوفلا Wofla انتصر المسلمون انتصاراً باهراً على
التحالف الصليبي . وقبض الإمام على القائد البرتغالي كريستوفر
دي جاما Christopher de Gama وقتله وشتت قوات

(١) Serjeant, op. cit. p. 19.

(٢) ابن المطهر ، روح الروح ، ورقة ٣٩ ،

Sousa, op. cit. Vol. 2. p. 599; Serjeant, op.
cit. p. 19;

عبد الله الحبيد ، سفارة الامام المتوكل ، ص ٢٠ .

(١) . الامبراطور الحبشى .

ونظرا لعدم ثقة الإمام في العثمانيين فقد أعاد بعد هذا النصر معظم القوة العثمانية إلى زبيد واحتفظ بمائتي جندي فقط وعسكر معهم قرب بحيرة تانا ^(٢) ، مما أعطى الفرصة للبرتغاليين والاحباش لإعادة تنظيم قواتهم وحشدها لخوض معركة كبيرة ضد الإمام .

وفي سنة ٩٥٠هـ / ١٥٤٣ م وقعت المعركة الحاسمة بين الطرفين

Woina Dega

قرب بحيرة تانا في موقع يسمى ويناديجا

هزم فيها الامام أحمد وقتل وتفرق جيشه . ^(٣)

وموت الإمام أحمد لم تنقطع المقاومة الإسلامية في شرق أفريقيا ولم ينته تحالف العثمانيين مع القوى الإسلامية للتصدي للنفوذ البرتغالي

Sousa, op. cit. Vol. 2. p.p. 60-61, (١)

Serjeant, op. cit. p. 19.

Tamrat, op. cit. p.p. 181- 182. (٢)

Tamrat, op. cit. p. 182, Serjeant, op. cit. (٣)
p.p. 19-20.

المتسلل إلى البحر الأحمر سوله عن طريق مهاجمة عدن أو عن طريق التحالف مع الأحباش .

ففي سنة ٩٥٦هـ / ١٥٥١ م قام الإمام نور الدين بن الوزير مجاهد في هجر بمقاومة الأحباش ، بعد أن أعاد تنظيم القوات الإسلامية فيها ^(١) . كما قام العثمانيون في سنة ٩٦٥هـ / ١٥٥٧ ميلادية بالإستيلاء على مصوع ، وحرقيقو Harkiko لقطع طريق الإمداد العسكري بين البرتغاليين والأحباش .

ومن مصوع أغار ازدمرباشا القائد العشاني على دباروا Dabarwa واستولى عليها مني بها حصنا للحامية العثمانية - وأصبحت دباروا مركزا لشن الحملات ضد الحبشة . وكانت سواكن ومصوع بمثابة مراكز الإمداد والتراجع عند الهزيمة . وفي تلك الاثناء نشبت معركة بين نور الدين مجاهد وامبراطور الحبشة جلاديوس Galadewos (١٥٤٠ - ١٥٥٩ م) ، هزم فيها الامبراطور الحبشي وقتل في سنة (٢) ٩٦٧هـ / ١٥٥٩ م .

(١) عبد الله الحبيد ، سفارة الامام المتوكل ، ص ٢٠ .
 (٢) النهوالي ، البرق اليناني ، ص ١١٩ - ١٢٠ ، عبد الله الحبيد ، سفارة الإمام المتوكل ، ص ٢٠ ، السيد رجب حراز ، ارتويا الحديثة ، ص ٢٩ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الحبشة .

وفي عهد الملك سرصا دنجل Saraa Dengel (١٥٦٣م - ١٥٩٧م) طرأ تغيير في التحالف بين العثمانيين ومسلمي شرق إفريقيا؛ ذلك أن المسلمين هناك قد أصابهم الضعف بعد موت نور الدين مجاهد سنة ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م ، وقلت خطورتهم على الأحباش مما أتاح الفرصة لازدياد قوة التحالف الصليبي بين الأحباش والبرتغاليين لذلك استغل العثمانيون قيام فتنة بقيادة البحر تاجش اسحاق ضد الامبراطور الحبشي وتحالفوا معه ضد الامبراطور سرصا دنجل . واستطاع امبراطور الحبشة بمساعدة البرتغاليين ان يوقع بالعثمانيين وحليفهم اسحاق ، هزيمة كبرى في معركة عدى كورو Addi Qorro باقليم تيجراي Tigray سنة ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م ، وقتل فيها اسحاق والباشا التركي . (١)

وفي سنة ٩٩٨هـ / ١٥٨٩م اشتعلت الحرب مرة أخرى ضد الإمبراطور الحبشي بقيادة ولدا عزوم Walda Ezum الذي تحالف مع العثمانيين في مصوع . واحتل الأتراك دباروا مرة

(١) السيد رجب حراز ، ارتريا الحديثة ، ص ٣١ ، عبد المجيد عابدين ، نفس المرجع ، ص ١٩٥ .

أخسرى ، وسار الإمبراطور سرصا دنجل بقواته والتقى بالمتحالفين قرب نهر مرب وأوقع بهم الهزيمة ^(١) . وانسحب باشا صوع التركي كداورت الى حرقيقو ، ولم يستطع الإمبراطور القضاء عليه هناك فعقد معه صلحاً . وظل العثمانيون في شرق إفريقيا رغم محاولات الأبحاش المتعددة لإقصائهم بعيداً ^(٢) .

يضاف إلى ذلك مفاسرات العثمانيين البحرية المتقطعة على سواحل شرق أفريقيا ومنازلتهم للأساطيل البرتغالية في البحر . ومنذ سنة ٩٩٢هـ / ١٥٨٤ م قام الاميرال العثماني ميرعلي بيك من اليمن بمهاجمة السفن البرتغالية عند ساحل سفاله ، وقام بتحريض ملك مومباسا وكثير من حكام مدن الساحل ضد البرتغاليين ، مما أطلق نائب الملك في الهند دوارت مينيزيس Duarte de Meneses ، فقرر ارسال قائده دي ميلوبومجرو De melo Pombeyro الذي احتل مومباسا وأوقع الهزيمة بميرعلي بيك سنة ٩٩٧هـ / ١٥٨٨ م ^(٣) .

(١) السيد رجب حراز ، ارتويا الحديثة ، ص ٣١ - ٣٢ ، دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الحبشة .

(٢) السيد رجب حراز ، ارتويا الحديثة ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٣) Sousa, op. cit. Vol. 3. p.p. 38-40;
Chttiek, op. cit. p. 229-230.

وهكذا نرى أن التحالف بين البرتغاليين والأحباش كان نتيجة
من نتائج النفوذ البرتغالي في الخليج العربي . وأراد البرتغاليون
من وراء هذا التحالف ، حماية ذلك النفوذ والسيطرة على تجارة السلع
الشرقية وحجب وصولها إلى موانئ مصر والشام .

(٣) بداية التنافس بين القوى الأوروبية للسيطرة على

تجارة الخليج العربي

٥٥

ولاشك أن النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري كان من أهم نتائجه لفت أنظار القوى الأوروبية الأخرى إلى تجارة الخليج العربي . فلم يكن من المعقول أن تقف القوى الأوروبية المعاصرة مكتوفة الأيدي أمام غزو البرتغاليين لمراكز التجارة في الخليج العربي ثم انفرادها بكامل ثروات الشرق التجارية ، لهذا أخذت القوى الأوروبية الأخرى في منافسة البرتغاليين والدخول معهم في سباق لا ينتزع ذلك النفوذ من أيديهم .

وكانت هذه القوى الأوروبية الجديدة ذات أهداف تجارية واستعمارية أنشبت أظفارها في الشرق الإسلامي لعدة قرون . وكانت القوة الحربية المصاحبة للسيطرة التجارية هي وسيلتها الأولى فهي فرض سيطرتها على تلك المناطق وقهر شعوبها .

ففي سنة ٩٨٨هـ / ١٥٨٠ م استولى فيليب الثاني ملك أسبانيا على البرتغال بعد وفاة ملكها هنري ، وبعد أن استقلت هولندا عن السيطرة الإسبانية . ومنع الأسبان البرتغاليين من المتاجرة مع هولندا مما دعا الهولنديين إلى التفكير في حرمان الأسبان من مصادر ثرواتهم

- بعد أن أصبحت البرتغال تابعة للتاج الإسباني - عن طريق - مزاحمتهم في التجارة الشرقية^(١) ، والحصول على التوابل من مصادرها الأصلية والقضاء على الإحتكار البرتغالي^(٢) . وبهذا أخذ نجم الهولنديين يلمع في الشرق وتأسست شركة الهند الشرقية الهولندية

The Dutch East India Company

تحت إشراف الحكومة الهولندية في استرداد سنة ١٠٠٢-١٠٠٣ هـ /
(٣) ١٥٩٤م - ١٥٩٥م .

وفي السنوات التالية (١٥٩٦م - ١٦٠٤م) أخذت السفن الهولندية تفرى عبر طريق رأس الرجاء الصالح إلى المحيط الهندي ، وأخذت في فرض نفوذها على حساب النفوذ البرتغالي خاصة في الشرق الأقصى وجزر الهند . واستعانت شركة الهند الشرقية الهولندية في ذلك بمعقد الإتفاقيات مع الحكومات المحلية لطرد البرتغاليين من سواحلهم .^(٤)

(١) فاروق أباظة ، عدن والسياسة البريطانية ، ص ٥٩ ، لوريير ، نفس المرجع ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) Encyclopaedia Britannica, Article Portugal

(٣) فاروق أباظة ، نفس المرجع ، ص ٥٩ .

(٤) قدرى قلججي ، نفس المرجع ، ص ٣٨٤ .

وكان الخليج العربي يمثل بالنسبة للشركة الهولندية مركباً تجارياً هاماً في خط مواصلاتها الطويل ، لذلك عملت الشركة جاهدة في محاربة البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي لتعطيل سير تجارتهم ، والحصول على مركز تجاري في الخليج العربي ينافس هرمز الذي كان تحت سيطرة البرتغاليين آنذاك ، لذلك ساعدوا الشركة الانكليزية بإمدادها وحلفائها الفرس بالمعونة الحربية حتى استطاعوا بعد ذلك توطيد نفوذهم في ميناء بندرعباس وجزيرة قشم .

ولكن المصالح التجارية الهولندية والإنكليزية في الخليج العربي لم تلبث ان تعارضت ، فدخل الهولنديون والإنكليز والبرتغاليون فسي حروب ومنازعات من أجل السيطرة على الخليج العربي وذلك في بدايات القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي (١) .

أما عن شركة الهند الشرقية الانكليزية التي تأسست في سنة ١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠ م فقد كانت للإنكليز اتصالات مكثرة في القرن العاشر الهجري في منطقة الخليج العربي . تمثلت هذه الاتصالات في

(١) صلاح العقاد ، التيارات السياسية ، ص ٣٠ ،

Milles, op. cit. 186.

رحلات عديدة قام بها مغامرون ومبعوثون انكليز للحصول على معلومات دقيقة عن أحوال التجارة البرتغالية في الخليج العربي ، وأملأ فسي عقد صداقات مع شاه فارس لتسهيل قيامهم بالتجارة هناك . وقد تمخضت هذه الرحلات الكشفية عن فوائد جمة للتجارة الانكليزية ، حيث هيأت وجود حليف لهم هو الشاه عباس (٩٩٦ هـ / ١٠٣٨ هـ / ١٥٨٧ م - ١٦٢٩ م) الذي منحهم تسهيلات كبيرة فيما بعد .

وقامت أولى هذه الرحلات عام ٩٨٨ هـ - ٩٨٩ هـ حيث بعثت الملكة اليزابيث الأولى ملكة بريطانيا مبعوثها جون نيويرى الذى وصل الى هرمز بعد أن مرّ بحلب ثم البصرة ، وجمع معلومات مكثفة عن التجارة هناك . (١) وفي سنة ٩٩١ هـ / ١٥٨٣ م عاد المبعوث نفسه في رحلة أخرى مع ثلاثة آخرين هم رالف فيتش ، ووليام ديدز ، وجيمس ستورى ، وقد جاءوا عن طريق العراق ، ثم البصرة ، وهرمز . وهناك القى البرتغاليون القبض عليهم وأرسلوا إلى غوا وسجنوا هناك . ومن غوا أرسل المبعوثون الإنكليز التقارير إلى إنكلترا يصفون فيها :

(١) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٩ - ٢٢ ؛ قدرى قطعجي ، نفس المرجع ص ٣٧٧ - ٣٧٨ .

ثروات الشرق ورفاهيته وأرباح التجار الخيالية هناك . (١)

وبعد أن اعتلى عرش فارس الشاه عباس الأول الصفوى وصل إلى بلاطه مبعوثان انكليزيان هما الأخوان انطوني وروبرت شيرلي ، اللذان احتلا مكانا مرموقا لدى الشاه عباس وقدا إليه اقتراحات بشأن السماح للانكليز بالتجارة مع فارس وإعفائهم من الضرائب في موانئ فارس على الخليج العربي . (٢)

وهكذا مهد الانكليز لقيام شركتهم بإيجاد حلفاء لهم من الفرس في أهم منطقة على طريق الهند وجاء تأسيس الشركة في وقت ازدهرت فيه التجارة الانكليزية بعد أن حققت انكسارا انتصارها الباهر على الاسطول الأسباني الأرمادا سنة ١٥٨٨م فاندفعوا إلى الشرق عبر رأس الرجاء الصالح لإيجاد مناطق جديدة تناسب التوسع التجاري القائم لديهم ، بعد أن عرفوا مقدار النفع الهائل الذي عاد

(١) لوريير ، نفس المرجع ، ص ١٩ ، ٢٢ ؛ قدرى قلعجي ، نفس المرجع ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

(٢) صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ٢٨ ؛ قدرى قلعجي ، نفس المرجع ص ٣٧٩ .

(١) على البرتغاليين نتيجة اتجاههم صوب الشرق .

وفي ٢١ ديسمبر ١٦٠٠ م وقعت الملكية اليزابيث الأولى المرسوم الخاص بتأسيس شركة الهند الشرقية تحت اسم " شركة حكام وتجارة لندن للعمليات التجارية في الهند والاقطار المجاورة " . (٢)

"The Governor and Company of Merchants of London Trading into the East Indies".

وأعطى هذا المرسوم للشركة الحق في احتكار التجارة الشرقية لمدة خمسة عشر عاما ، وقد تم تمديد هذه المدة بعد ذلك . (٣)

(١) مصطفى النجار ، شركة الهند الشرقية الانكليزية ، مجلة دراسات

الخليج ، عدد ١٦ ، سنة ١٩٧٨ م ، ص ١٠٢ ، لوريير ، نفس المرجع

ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) لوريير ، نفس المرجع ، ص ٢٢ - ٢٣ ، مصطفى النجار ، شركة الهند

الشرقية ، ص ١٠٢ ، فاروق اباظة ، نفس المرجع ، ص ٦٤ .

(٣) مصطفى النجار ، شركة الهند الشرقية ، ص ١٠٢ .

وأسس الانكليز أول مركز لهم في كوجرات على الساحل الغربي للهند ، ثم أخذت في تأسيس مراكز لها على طول الطريق المار بالبلا د العربية في البحر الأحمر والخليج العربي ، عن طريق عقد معاهدات تجارية مع دول المنطقة . وأخذت هذه المعاهدات في طياتها مطامع الاستعمار الاوربي .

ومن أهم الدول التي عملت شركة الهند الشرقية على الاتفاق معها هي فارس . فقد حصلت الشركة عام ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م على فرمان شاهنشاهي ينص على منح الإنكليز حق التجارة مع فارس ، وتأسيس مراكز تجارية لهم في شيراز وأصفهان وجاسك ، وإعفاثهم من الضرائب فيها ^(١) . وقد وافق هذا الاتفاق اطماع الإنكليز في محاربة النفوذ البرتغالي في الخليج العربي وإضعاف منافسة الهولنديين فيه ، مما أدى أخيرا الي سيادة النفوذ الإنكليزي في الخليج العربي والسيطرة عليه ونهب ثرواته الضخمة .

أما عن أسباب تدهور القوة البرتغالية في الخليج العربي فسي

(١) مصطفى النجار ، شركة الهند الشرقية ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

نهاية القرن العاشر الهجرى ، فنستطيع أن نجل أهمها فى عدة نقاط :

(١) انتقال البرتغال سنة ٩٨٨هـ / ١٥٨٠ م إلى السيادة الأسبانية مما أدى إلى تدهور القوة البرتغالية فى الشرق ، بسبب تحكم الأسبان فى السياسة الخارجية للبرتغال ، ونفور البرتغاليين من الحكم الأسباني الذى أولى اهتمامه للحروب الأسبانية ، وفرض الضرائب الباهظة لتمويل هذه الحروب ، على حساب حكومة البرتغال فى الشرق وعلى حساب السيطرة البرتغالية فى الهند والخليج العربى .^(١)

(٢) تصدى الدولة العثمانية للسيطرة البرتغالية فى الخليج العربى والبحر الأحمر ، طوال القرن العاشر وتمكنهم من السيطرة على عدن والاحتفاظ بالبحر الأحمر بحيرة إسلامية ، وإحباطهم لكل المحاولات البرتغالية لتكوين جبهة مسيحية مع الاحباش.^(٢)

(١) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ٢٢ ؛

Macgregor, op. cit. p. 614; Milles, op. cit.

p. 181; Encyclopaedia Britannica, Article Portugal.

(٢) السيد رجب حراز ، عصر النهضة ، ص ٣٢٥ .

وأدت هذه السياسة الى إرهاب القوة البرتغالية باستمرار حيث كان عليها أن تواجه العثمانيين في عدة ميادين ووسط شعور عام بالسخط عليهم من قبل الأهالي المسلمين الذين وقفوا في معظم الاحيان بجانب العثمانيين باعتبارهم حماة الإسلام .

(٣) السياسة التجارية السيئة التي اتبعها البرتغاليون ، وهي استغلالهم لخيرات الشعوب الخاضعة لهم بشكل بشع ، وحرمان هذه الشعوب حق المتاجرة باتباع وسائل النهب والقرصنة ، وسياسة الاستغلال عن طريق تكديس البهارات والمتاجر الأخرى وحملها إلى البرتغال .

يضاف إلى ذلك عدم كفاءة الإدارة البرتغالية حيث يعين نائب الملك في الهند لمدة ثلاث سنوات - وهي مدة قصيرة جدا - فكان هدفه وهدف موظفيه هو جمع الثروة في أقصر مدة ممكنة وذلك على حساب الأهالي الضعفاء .^(١)

Chttick, op. cit. p. 231;

(١)

السيد رجب حراز ، عصر النهضة ، ص ٣٢٦ .

(٤) حركة المقاومة الإسلامية العنيفة في الخليج العربي ضد البرتغاليين ، حيث تتابعت الانتفاضات ضدهم . وعمل أبناء الخليج العربي على التخلص منهم بالعديد من الوسائل والمحاولات ، كما مدوا يد العون للدولة العثمانية حينما تدخلت في الخليج العربي لمواجهة النفوذ البرتغالي ، مما ساعد على تفتيت وإضعاف القوة البرتغالية القائمة في الخليج العربي .

(٥) سيطرة البرتغال وهي الدولة الصغيرة النائية على خط المواصلات الطويل إلى الشرق . وللمحافظة على هذا الخط كان على البرتغال أن تواصل إرسال الأساطيل والحاميات إلى الشرق ، مما شكّل عبئاً ثقيلاً على ثروتها واقتصادها ، كما أجبرها على استخدام العبيد والمرتزقة في الشرق ليشكلوا جزءاً كبيراً من حامياتها في المراكز التجارية ، وأدى عدم إخلاص هؤلاء العبيد والمرتزقة في كثير من الأحيان إلى خسارة البرتغاليين .^(١)

(٦) ظهور المنافسة الأوروبية خاصة الهولندية والانكليزية^(٢) على

(١) Chttick, op. cit. p. 231, Macgregor, op. cit. p. 613;

صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ٢١ - ٢٢ .
(٢) Milles, op. cit. p.p. 184-185;
صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ٢١ - ٢٢ .

سيادة الطرق التجارية إلى الشرق . وقد جاءت هاتان القوتان
إلى الشرق أكثر تسليحا وأعظم قوة ، مما أتاح للهولنديين والانكليز
فرصة التفوق على البرتغاليين .

وأخيرا فإن هذه هي أهم نتائج النفوذ البرتغالي في الخليج
العربي في القرن العاشر الهجري ، هذه النتائج التي امتدت
آثارها على منطقة البحر الأحمر وعلى جنوب شبه الجزيرة العربية ، وعلى
القوى الإسلامية في شرق أفريقيا .



الخاتمة

أهم النتائج التي
توصل إليها البحث

أهم النتائج التي توصل إليها البحث

رأينا في الفصول السابقة أن البحث ألقى أضواء جديدة على منطقة الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي . فقد أوضحت الدراسة أن هناك عوامل كثيرة جعلت هذا المعبر المائي أكبر وأعظم منطقة لعبور تجارة الشرق أواخر العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة . وساعد على ازدهاره وثرائه عوامل أهمها الموقع الفريد للخليج العربي على طريق التجارة بين الشرق والغرب ، وصلاحيته موانئه المتعددة للملاحة ، ورعاية الدول الإسلامية الكبرى من حوله للتجارة المارة فيه .

واستمر هذا الإزدهار حتى قدوم البرتغاليين الى المحيط الهندي في بداية القرن العاشر الهجري .

ولم تنقطع المتاجر الشرقية عن الخليج العربي عبر الطريق البري الموصل إلى سواحل الشام حتى خلال فترات الاضطراب والفوضى التي أعقبت سقوط الخلافة العباسية في بغداد ، ما جعلنا نلمس الفرق بين النشاط التجاري وحالة الأمن في منطقة الخليج العربي قبل قدوم البرتغاليين إلى البحار الشرقية وبعد قدومهم . فقد حول البرتغاليون

الطرق التجارية الى أوكار للقرصنة البرتغالية للقضاء على النشاط التجاري الإسلامي في الخليج .

وشرح البحث كيف أن الصراعات والتفكك السياسي الذي ساد الإمارات العربية وفارس والعراق في القرن التاسع الهجري ، قد مهد لتغلغل النفوذ البرتغالي في الخليج العربي مع بداية القرن العاشر الهجري . وأبلغ دليل على ذلك هو عدم وجود قوة اسلامية كبرى مجاورة للخليج تسرع للدفاع عنه عند الغزو البرتغالي المفاجيء .

وبرهن البحث على أن العوامل الدينية الصليبية كانت من أهم عوامل قيام حركة الكشوف الجغرافية البرتغالية . فقد سعى البرتغاليون لإيجاد منطقة جديدة لضرب المسلمين خاصة عندما اشتعل الحقد الصليبي ضد الإسلام والمسلمين بعد فتح العثمانيين للقسطنطينية وتوسعهم في أوروبا الشرقية ، خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين .

ومن النتائج الهامة التي توصل اليها البحث أنه كان للبحارة العرب المسلمين الفضل الأول في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في القرن العاشر الهجري . وأبلغ دليل على ذلك أن مؤلفات أحمد بن ماجد وسليمان المهري ، وهما من أشهر البحارة والعلماء العرب المسلمين في علوم البحار ، أمدت البرتغاليين وغيرهم بالمعلومات

والخبرات الهامة التي ساعدتهم على العبور إلى الهند ، واستفاد كل من البحار البرتغالي بارثميود ياز ، الذي اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح ، وفاسكو دي جاما الذي وصل إلى الهند عبر طريق رأس الرجاء الصالح ، من علوم وخبرات العرب .

ويعتبر دي جاما أول برتغالي مارس تطبيق الأهداف الصليبية ضد المسلمين في المشرق ، كما وضع ركائز عمليات القرصنة البحرية البرتغالية في المحيط الهندي .

ومن أهم النتائج التي ترتبت على كشف طريق رأس الرجاء الصالح هو تحقيق الأهداف الصليبية التي خطط لها البرتغاليون قبل قدومهم إلى الشرق . فقد استطاع البرتغاليون فعلا الإلتفاف حول العالم الإسلامي من ناحية الجنوب ، والقضاء على المصالح التجارية للمسلمين في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر . كما جعلوا من هذه المناطق الآمنة مناطق صراع شرسة ضد الإسلام والمسلمين .

ومن الأساليب التي اتبعتها البرتغاليون في تحويل طريق التجارة المار عبر الخليج العربي والبحر الأحمر إلى طريق رأس الرجاء الصالح هو مهاجمة هذين المعبرين . ونجح البرتغاليون بالنسبة للخليج العربي أما البحر الأحمر فقد تصدت لهم سلطنة المماليك في مصر

وأغلقت في وجوههم هذا البحر ، ثم جاء العثمانيون فأكملوا مهمة سلاطين المماليك وأبقوا البحر الأحمر بحرًا إسلاميًا خالصا .

واستخدم البرتغاليون وسائل الارهاب والقرصنة البحرية ضد السفن الإسلامية التجارية . وأسسوا مراكز لهم في سواحل شرق افريقية لمراقبة السفن المتجهة إلى البحر الأحمر . ولاشك أن هذه الوسائل جرّت الخراب على أعظم طريقين تجاريين لتجارة الشرق وهما الخليج العربي ، والبحر الأحمر .

واستطاعت الدراسة أن توضح حقيقة تعرض الخليج العربي فـي بداية القرن العاشر الهجرى لعمليات غزو وحشية صليبية من قبل البرتغاليين ، اتضحت من خلالها أبشع عمليات انتهاك حقوق الانسان من تدمير واحراق المدن الآمنة ، ونهبها ، واحراق المساجد والتمثيل بالأسرى ، والفكك بالشيخ والاطفال والنساء ، وفرض الضرائب الباهظة على أهالي المدن بعد تدميرها . كما دمر البرتغاليون المراكز التجارية والبحرية في الخليج العربي عن طريق احراق الموانئ بما فيها من السفن الراسية وممارسة أعمال القرصنة ، بالإستيلاء على كل سفينة ومركب تجارى يمر فيه ، وفرض الرقابة على السفن بواسطة الحاميات العسكرية التي أقاموها في المراكز التجارية . وبذلك حوّل البرتغاليون هذا المعبر المائي المزدهر إلى مخزن للتجارة فقط يسوده الخراب

والقت الدراسة ضوءاً هاماً على دور أبناء الخليج العربي فـي
إضعاف النفوذ البرتغالي خلال القرن العاشر الهجري مما عجل
بتدهوره في نهاية ذلك القرن .

ورغم الإمكانيات العسكرية الضئيلة ، استطاع أبناء الخليج الصمود
أمام القوة البرتغالية ، ورفضوا الخضوع لسطوة البرتغاليين ونفوذهم ،
وعبروا عن ذلك بانتفاضاتهم المستمرة ضد الغزو البرتغالي ، ومقاتلة
الحاميات العسكرية البرتغالية الموجودة في المراكز التجارية ، وقطع
خطوط الإمدادات عن تلك الحاميات . ولجأ أبناء الخليج أيضاً إلى
الدولة العثمانية باعتبارها القوة الإسلامية الكبرى القائمة في تلك الفترة
التاريخية .

وساهمت الدولة العثمانية بنصيب كبير في التصدي للنفوذ
البرتغالي في الخليج العربي ، فقامت بإرسال الحملات المتتابعة إليه .
ورغم فشل كثير من تلك الحملات العثمانية إلا أنها أثرت تأثيراً كبيراً في
إضعاف النفوذ البرتغالي ، وفي تشتيت قواه وتفتيت جهوده ، بحيث
عجلت في تدهور القوة البرتغالية في الخليج العربي مع نهاية القرن
العاشر الهجري .

ولاشك أن النزاع الذي كان سائداً بين العثمانيين والصغويين

ساعد بشكل مباشر في اضعاف قوة المسلمين عامة ، مما حال دون القضاء على البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي قضاء حاسماً ونهائياً . ولم يستفد من هذا النزاع إلا أعداء الإسلام المتربصون به وأولهم الصليبيون الأوروبيون .

ونتيجة لتصدي الدولة العثمانية للنفوذ البرتغالي في الخليج قام البرتغاليون بمهاجمة المراكز التجارية الإسلامية في مدخل البحر الأحمر ، وحاولوا الوصول إلى الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ولكن يقظة الدولة العثمانية حالت دون تحقيق ذلك الحلم الصليبي .

وأرسل العثمانيون حملات عسكرية إلى الهند للتصدي للنفوذ البرتغالي في المحيط الهندي ، ولفك الحصار عن التجارة العربية الإسلامية المارة فيه . وهذا يؤكد لنا أن الدولة العثمانية لم تتجاهل النفوذ البرتغالي في الشرق وإنما بذلت ما في طاقتها للتصدي للبرتغاليين.

وسمى البرتغاليون لعقد تحالف صليبي مع الأحباش في شرق أفريقيا للقضاء على حركة الجهاد الإسلامي بين مسلمي شرق أفريقيا ، والتصدي للدولة العثمانية ، لتحقيق أهدافهم ومشروعاتهم الصليبية . وفشل البرتغاليون في تحقيق ذلك .

ومن نتائج البحث أن النفوذ البرتغالي في الخليج العربي فسي القرن العاشر الهجرى أثار انتباه بعض القوى الأوربية الأخرى لأهمية ثروات الشرق وخيراته وأهمية موقع الخليج العربي كمعبر لتجارة الشرق . فكان هذا النفوذ البرتغالي بداية عصر استعمار صليبي جديد تمثل في الشركات التجارية الهولندية والانكليزية والفرنسية .

وتدهور النفوذ البرتغالي في المحيط الهندي والخليج العربي لعدة أسباب أهمها ازدياد حركة المقاومة الاسلامية ، ووفود القوى الأوربية الأخرى التي تلك البحار ، وكانت بداية فترة جديدة في تاريخ الخليج العربي .

والله الموفق .

فائمه المصا درو الميراج

أولا - المصادر العربية
٥٥

- ابن أبي السرور البكري (ت. ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م)
* المنح الرحمانية في الدولة العثمانية ، مخطوط
مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات ، بجامعة
الدول العربية بالقاهرة ، برقم ١١٠٥ / تاريخ
- ابن الاثير (على بن أبي الكرم الشيباني ، ت. ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)
* الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، بيروت ١٩٦٧م
- ابن اياس (محمد بن أحمد ، ت. ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م)
* بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ،
ج ٤ ، ٥ ، القاهرة - فيسبان ، ١٩٦١م .
- ابن بطوطة (محمد بن ابراهيم اللواتي ، ت. ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)
* تحفة النظار في غرائب الأصار وعجائب الأسفار
بيروت ١٩٦٤م .
- ابن تغري بردى (أبو المحاسن يوسف ، ت. ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)
* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١٢ ،
القاهرة ، ١٩٥٦م .

- ابن خرداذبه (عبيد الله بن عبد الله ، ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م)
* المسالك والممالك ، ليدن ١٨٨٩م
- ابن الديبع (ابي الضياء عبد الرحمن بن علي ، ت ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م)
* قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ، تحقيق
محمد بن علي الاكوع ، ج ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٦م .
- ابن رسته (احمد بن عمر ، ق ٣ هـ)
* الأعلاق النفيسة ، ليدن ، ١٨٩١م .
- ابن طولون (شمس الدين محمد ، ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م)
* مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، تحقيق
محمد مصطفى ، ج ١ ، ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
- ابن العماد (ابو الفلاح عبد الحي ، ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)
* شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٧ ، ٨ ،
القاهرة ، ١٩٣٣م .

- ابن ماجد (شهاب الدين أحمد ، ق. ١٠ هـ)
- * ثلاث أزهار في معرفة البحار ، تحقيق ثيودور شومفسكي ، ترجمة محمد منير مرسى ، القاهرة ١٩٦٩ م .
- * كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، تحقيق ابراهيم خورى ، وعزة حسن ، دمشق ١٩٧١ م .
- ابن المطهر (عيسى بن لطف الله ، ت ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨ م)
- * روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، برقم ٢/٢٦٢ تاريخ .
- أبو الفداء (اسماعيل بن محمد بن عمر ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)
- * تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠ م .
- الاصطخرى (ابراهيم بن محمد الفارسي ، ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)
- * المسالك والممالك ، تحقيق محمد الحيني ، القاهرة ١٩٦١ م .

(٢٠٨)

- بامخرمه (عبدالله الطيب بن عبدالله ، ت٩٣٧هـ / ١٥٣٠م)
* تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ، ٢ ، ليدن ١٩٢٦م .
- حاجي خديفة (مصطفى بن عبدالله ، ت١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م)
* كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، بغداد
١٩٤١م .
- الحموي (ياقوت بن عبد الله ، ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)
* معجم البلدان ، ج ١ ، ٣ ، ٥ ، بيروت ١٩٧٧م .
- الحميري (محمد بن عبد المنعم ، ت٩٠٠هـ / ١٤٩٤م)
* الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان
عباس ، بيروت ١٩٧٥م .
- زين الدين (ق ١٠هـ)
* تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتكاليين ،
لشبونة ١٨٩٨م .

- السالمى (محمد شيه بن نور الدين)
 - * نهضة الاعيان بحرية عمان ، مخطوط بـدارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، برقم ٩٥٣ / ٥ / ٣٣
- السخاوى (محمد بن عبد الرحمن ، ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م)
 - * الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٢ جزءاً ، القاهرة ١٣٥٣ هـ - ١٣٥٥ هـ .
 - * التبر المسبوك في ذيل السلوك ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- الشوكانى (محمد بن علي ، ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م)
 - * الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج ١ ، ٢ ، بيروت .
- الشيلى ، (جمال الدين ابى العلاوى محمد ، ت ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م)
 - * السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، برقم ٦٩٩ / تاريخ .

- طاشكسرى زادة (احمد مصطفى ، ت ٩٦٨هـ / ١٥٦٠م)

* مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، تحقيق
كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور ، القاهرة
١٩٦٨ م .

- الطبري (ابو جعفر محمد جرير ، ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)

* تاريخ الرسل والملوك .
ج ١٢ ، بيروت .

- العيدروسي ، (محيي الدين عبد القادر بن شيخ ، ت ١٠٣٨ هـ /

١٦٢٨ م) .

* النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، تصحيح
محمد الصفار ، بغداد ، ١٩٣٤ م .

- الفزى (نجم الدين بن محمد بدر الدين ، ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥٠ م)
 - * الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، أجزاء ١-٣ ، بيروت ١٩٤٥ م .
- المسمودى (علي بن الحسين بن علي ، ت ٣٤٦ هـ / ١٩٥٧ م)
 - * مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد عبد الحميد ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٧٣ م .
- المقدسى (محمد بن أحمد ، ت ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م)
 - * أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦ م .
- المقرئى (تقي الدين أحمد بن علي ، ت ٨٣٤ هـ / ١٤٣٠ م)
 - * السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق سعيد عاشور ، ج ٣ ، ٤ ، القاهرة ١٩٧٢ م .

- المهري (سليمان بن أحمد بن سليمان ، ق . ١٠ هـ)

- * اللمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية ، تحقيق
ابراهيم خورى ، ج ١ ، دمشق ١٩٧٠ م .
- * المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر ، تحقيق
ابراهيم خورى ، ج ٢ ، دمشق ١٩٧٠ م .
- * شرح تحفة الفحول في تمهيد الاصول في أصول
علم البحر ، تحقيق ابراهيم خورى ، ج ٣ ، دمشق
١٩٧٢ م .

- النهروالي (قطب الدين محمد بن أحمد ، ت ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م)

- * البرق اليماني في الفتح العثماني ، تحقيق حممد
الجاسر ، الرياض ١٩٦٧ م .
- * الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، جوتنجن ١٨٥٧ م .

- اليماني (يحيى بن الحسين بن الامام القاسم ، ت ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م)

- * أنباء ابناء الزمن في تاريخ اليمن ، مخطوط بدار
الكتب المصرية ، القاهرة ، برقم ١٣٤٧ / تاريخ .
- * غاية الأمان في أخبار القطر اليماني ، تحقيق
سعيد عاشور ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٦٨ م .

ثانيا - المراجع العربية والمعرّبة

٥٥

- أحمد عبد دراج

* الماليك والفرنج في القرن التاسع الهجرى ،
القاهرة ١٩٦١ م

* ايضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر
الأحمر منذ مطلع القرن ٩ هـ ، مجلة الجمعية
المصرية للدراسات التاريخية ، الموسم الثقافي
لعام ١٩٦٨ / ٦٧ م .

- أحمد فضل العبدلي

* هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، القاهرة
١٣٥١ هـ .

- أحمد مصطفى أبوهاكمه

* تاريخ شرقي الجزيرة العربية - نشأة وتطور
الكويت والبحرين ، ترجمة محمد أمين عبد الله ،
بيروت / ١٩٦٥ م .

- أرنبولد ، (توماس)
المجيد
* الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم وعبد
عابدين ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- اسماعيل سرهنسك
* حقائق الأخبار عن دول البحار ، ٣ أجزاء ،
القاهرة / ١٣١٢ هـ .
- السيد رجب حراز
* الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ، القاهرة
١٩٧٠ م .
- * اريتريا الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٤ م
* عصر النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- أنور عبد الملهم
* ابن ماجد الملاح ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- بانيسكسار
* آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد
القاهرة ١٩٦٢ م .

- جمال الدين الشيال
* تاريخ دول أباطرة المغول الاسلامية في الهند ،
الاسكندرية ١٩٦٨ م .
- حوراني ، (جورج فاضلو)
* العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة
يعقوب بكر ، القاهرة / ١٩٥٨ م .
- ديل ، (شارل)
* البندقية : جمهورية ارسقراطية ، ترجمة أحمد
عزت عبد الكريم ، وتوفيق اسكندر ، القاهرة ١٩٤٧ م
- دائرة المعارف الاسلامية
* مواد ، سفاله ، الحبشة ، الحويزه ، بغداد ، بندر
عباس ، صحار ، حلب ، بيري رئيس ، شهاب
الدين ، البصرة .
- ريسلر ، (جاك)
* الحضارة المربية ، ترجمة غنيم عبدون ، القاهرة .

- رانسيان (ستيفن)
* تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد البارز
العريني ، ج ١ ، بيروت ١٩٦٧ م .
- سالم الرشيدى
* محمد الفاتح ، بيروت ١٩٦٩ م .
- سعيد عاشور
* الحركة الصليبية ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٧١ م .
- سعيد عوض باوزير
* صفحات من التاريخ الحضري ، القاهرة ١٣٧٨ هـ
- سليمان المسكوى
* التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر
المباني ، القاهرة ١٩٧٢ م .
- سيد نوفل
* الاوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب
الجزيرة ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦١ م .

- سيد _____ و
- * تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر ، دمشق
١٩٦٩ م .
- ش _____ يني
- * تاريخ العالم العربي ، ترجمة مجد الدين حفني
ناصف ، القاهرة .
- صلاح العقاد
- * التيارات السياسية في الخليج العربي ،
القاهرة ١٩٧٤ م .
- عبد الحميد البطريق
- * من تاريخ اليمن الحديث ، ١٩٦٩ م .
- عبد الرحمن فهمي
- * النقود العربية ، ماضيها وحاضرها ، القاهرة ١٩٦٤

- عبد العزيز الشناوي
* أوروبا في مطلع العصور الحديثة ، ج ١ ، القاهرة
٠ ١٩٧٧ م
- عبد العزيز ————
* العلاقات العراقية الإيرانية ، القاهرة ، ١٩٧٤ م
* تاريخ العرب الحديث ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٧٦ م
- عبد الله الحبيد
* سفارة الامام المتوكل اسماعيل بن القاسم الى البلاط
الملكى في عاصمة الحبشة جندار ، مجلة كلية
الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة ،
المعد الثالث لعام ١٣٩٧ / ١٣٩٨ هـ .
- عبد المجيد عابدين
* الحبشة والعرب ، القاهرة .
- عبد النعيم حسنين
* ايران في ظل الإسلام ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

- فاروق عثمان أباظة
* عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر،
القاهرة، ١٩٧٦ م .
- فيشر
* أوربا العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة
ج ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .
- قدرى قلعجي
* الخليج العربي ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٦٥ م .
- لويسون ، (غوستاف)
* حضارة المغرب ، ترجمة عادل زعتر ، القاهرة
- لوريمر
* دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ١ ، قطر .

- لونكريك ، (ستيفن)
 - * أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ، بغداد ، ١٩٤١ م .
- مـتـز ، (آدم)
 - * الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد أبوريدة ، ج ٢ ، بيروت ١٩٦٧ م .
- محمد بن خليفة النبهاني
 - * التحفة النبهانية في امارات الجزيرة العربية ، ج ١ ، بغداد ١٣٣٢ هـ .
- محمد بن عبد الله الاحسائي
 - * تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، علق عليه حمد الجاسر ، ج ١ ، الرياض ، ١٩٦٠ م .
- محمد عبد اللطيف البحراوي
 - * فتح العثمانيين ، عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

(٢٢٢)

- هاملتون جب وهارولد بوون
* المجتمع الاسلامي والغرب ، ترجمة أحمد مصطفى ،
ج ١ ، ٢ ، القاهرة ١٩٧١ م .
- هونكه ، (زيفريد)
* شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق
بيضون ، وكمال الدسوقي ، بيروت ١٩٦٤ م .
- يسرى الجوهري
* الكشف الجغرافية ، الاسكندرية ١٩٦٧ م .

(ثالثا) المصادر والمراجع الأوربية

°°

- Bell, Christopher : Portugal and the Quest for the Indies. (London, 1974).
- Cook, M.A :A history of the Ottoman Empire, (London, 1976).
- Encyclopaedia Britannica.
- Every man's Encyclopaedia.
- Inalcik, Halil : The Ottoman Empire, (London, 1975).
- Milles, S.B : The Countries and tribes of the Persian Gulf, (London, 1966).
- Rabie, Hassanein: Political Relations between the Safavids of Persia and the Mamluks of Egypt and

Syria in the early Sixteenth Century.

بحث في مؤتمر التاريخ بمدينة ديترويت ، الولايات المتحدة الأمريكية ،

سنة ١٩٧٧ م .

- Serjeant, R.B: The portuguese off the South Arabian Coast (Beirut, 1974).
- Shaw, Stanford: History of the Ottoman Empire and Modern Turkey Volum (1) (New York, 1976).
- Sousa, Faria, The history of the Discovery and Conquest of India by the Portugues, Translated into English, by John Stevens, Volumes, 1, 2, 3, (London, 1894).
- The Cambridge history of Africa, Volum (3) (London, 1977).
- The Cambridg history of Islam Volun(1) (London 1970).
- The New Cambridge Modern History Volum (2) (London, 1958).